حب

1168
١١٦٨

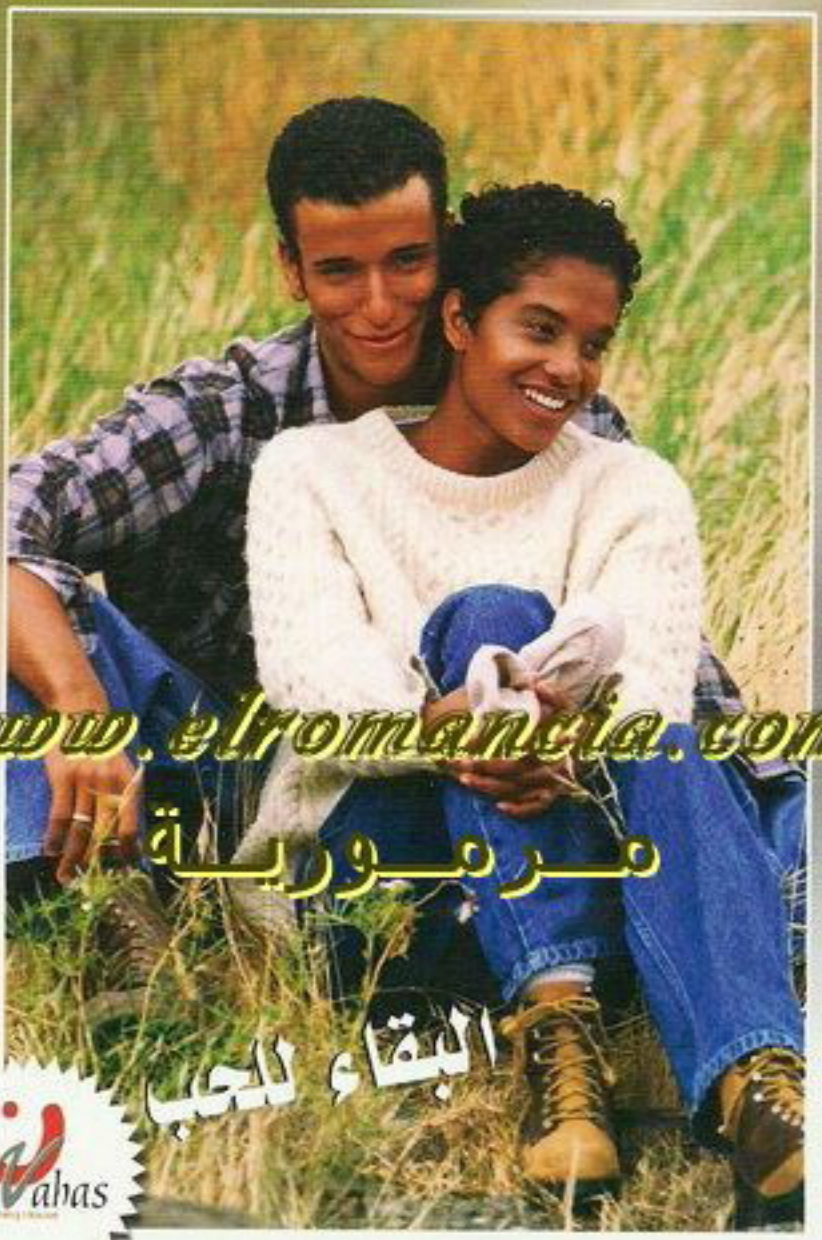

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

البقاء للحب

Nahas

صادر عن دار م. النحاس

البقاء للحب

لدى والكر مارشل طريقة خاصة في التعامل مع الخيول، حتى الخيول البرية التي تعيش في جبال كاليفورنيا. لكن النساء... حسناً، لم يتمكن مطلقاً ان يتفاهم معهن. والارملة القادمة من المدينة لزيارة بارام ليست مختلفة عنهن. لكن كل الذي يعلمه، انه لم يحظَ بليلة نوم طبيعية منذ ان وصلت الى هنا للبقاء. الحياة البسيطة في المزرعة تصنع العجائب لابن ستايسي مالوني. لكن راعي الماشية القاسي في بارام لديه رأي مختلف بالكامل، كما وانه لا يرحب بها. وهي ليست مستعدة لذلك الشوق الذي تشعر به نحوه. كما وأنها بالتأكيد لن ترضى بأن تكون مجرد علاقة عابرة بالنسبة إليه...

البقاء للحب

«والكر، لا اعتقد انه يجب...»

«هس» ضمها إليه بقوة اكثر وهو يتابع:«لا تجفلي، عزيزتي. لن ارغمك على القيام بأي شيء. سأضمك الي، مثل اي حصان من الخيول.»

تراجعت ستايسي الى الوراء وابتسمت قائلة:«والكر، انا لست من الخيول التي تملكها بحيث يمكنك ان تمرر مروحة عليها، اي شيء تفعله لتسيطر عليها.»

وافق وهو يبتسم:«لا، انت لست حصاناً، لكن ان تكلمت معك بصوت ناعم، ستأتين إلي، اليس كذلك؟»

قالت محذرة:«والكر.»

طبع قبلة على انفها وقال:«نعم، عزيزتي.»

«ابتعد.» هذه الكلمة سمعته يستعملها مع الخيول.

الفصل الأول

ولا امرأة في مقاطعة غودز الخضراء قد تعتبر وايلد هورس والكر رجلاً وسيما. كان يعلم ذلك، ويتقبله. لكن لم يكن يشعر ان عليه ان يسعد بذلك. فالرجل ليس بحاجة لملامح جميلة ليتمكن من النجاح هنا، فقط هو بحاجة الى جسم قوي وحب كبير للعمل في المزرعة. وهذه الحياة القاسية هنا تناسبه بصورة جيدة.

امر واحد ينجح فيه، تعامله مع الخيول والعمل في المزرعة. فهذا كل ما يعرفه، وكل ما يريد معرفته. في معظم الاحيان، حياته مقبولة. ولا تزعجه الا في ايام مثل هذا النهار، عندما تظهر ضيفة زرقاء العينين، في مزرعة بارام لتمضي وقتا في ركوب الخيل والراحة وربما في التقرب من رجال الكاوبوي الوسيمين.

في مثل تلك الاوقات يتمنى والكر لو ان انفه لم ينكسر في حادث في المزرعة، ولو ان حاجبيه الكثيفين السوداوين المستقيمين، فيهما بعض الانحناء الذي يظهر المرح والذي يجذب النساء. وربما لو انه يبتسم عادة، بدلا من التجهم الدائم، لكان وجد من تلاحظه.

المشكلة انه غاضب معظم الاوقات. غاضب من التقلبات التي طرأت على حياته، ومن فقدان السيطرة عليها.

تنهد بانزعاج وهو يربط باحكام حزام السرج للحصان ابالوزا والذي ستمتطيه المرأة صاحبة العينين الزرقاوين. نظر اليها متأملا، وتساءل ان كان يملك أي فرصة معها. شعرها البني المشع والذي يصل الى رقبتها، يظهر تناقضا واضحا لعينيها الزرقاوين الصافيتين. وها هي تقف بعيدة عنه، تتحدث وتضحك مع احد العمال. هذا الكاوبوي لديه ابتسامة كبيرة ووجه مشرق، ويحصل على ما يريده من المرأة الوحيدة في المزرعة والتي تعمل كمدبرة للمنزل الرئيسي.

زفر بضيق . فهذا الرجل هو جيد فقط مع النساء، لكنه لا يعرف مطلقا كيف يتعامل مع الثيران، وهذا هو عمله، لأن بارام هي منذ البداية مزرعة للماشية، اما المزرعة التي يسمح للضيوف بزيارتها فقد اضيفت لها لتؤمن المزيد من المال.

رفع كتفيه باستخفاف غير مهتم لأنه لا يجيد مثل تلك الامور. فكل الذي يعنيه هو المزرعة. مزرعته. على الاقل بارام ستعود اليه، بشكل مطلق، بدلا من ان يكون نصفها بالتحديد قد اصبح ملك الافعى، بيغ جيم مالوني، والذي تزوج والدة والكر واستولى على المزرعة في كاليفورنيا. حرك فمه بمرارة وشد الحزام بقوة.

يدير جيم المزرعة بقبضة حديدية وبطبع كالسوط. لم يكن هناك اي كلمة لطيفة الى الموظفين، لكن هناك الكثير منها الى الضيوف الذين يدفعون الاموال.

وبالنسبة الى جيم، والكر ليس الا مجرد موظف في نظره.

لم يكن هناك اي شك لدى والكر ان جيم مالوني حصل على نصف المزرعة بطرق ملتوية. لكنه مصمم على استعادة حصته، بأي طريقة كانت.

مرة ثانية اعاد نظراته الى المرأة، وشعر باحساس من الشوق غير معتاد عليه. بطريقة ما، انها لطيفة وناعمة، وهي تعجبه وقليل جدا ان يشعر بالاعجاب نحو امرأة. فكر متأملا، امرأة مثلها، تستطيع ان تجعل الرجل ينسى متاعبه.

وقفت ستاسي مالوني بعيداً عن الحيوان الكبير داخل الإسطبل، وحاولت ان تخفي خوفها. لم تمتطي حصانا منذ ان كانت طفلة في نبراسكا، عندما كان يضعها جدها على حصان عجوز ويسير بها عبر الحديقة. وان هي في الثامنة والعشرين الان، فلا بد ان ذلك حدث منذ عشرين عام. تنهدت وتخلصت من ذكرياتها. عليها ان تهتم فقط بالمستقبل. والان الوقت مناسب جدا لتأخذ عطلة، فشركة البناء التي تعمل فيها سكرتيرة اعتمدت تخفيض عدد العمال لديها وتركتها من دون عمل. كما وان، جيم مالوني، والد زوجها، كان مصمما بشكل كبير، وهو يصرخ عبر الهاتف:«لقد حان الوقت لأتعرف على حفيدي.»

مررت ستاسي يدها جبينها وهي تتذكر صوته القوي. فقد اتصل مرات عدة في الاشهر التي تلت جنازة دنيس، طالبا منها ان تزوره هي وابنها. والذي حدث

انه اتصل آخر مرة في النهار الذي اكتشفت فيه انها من دون عمل. والآن ها هما هنا. وتقريبا قلقة بأكثر ما يمكن وصفه وهي ترمق الاحصنة، تركت نفسها تحدق بالرجل الذي يقود الحصان نحوها. علمت ان الرجل يراقبها، ونظراتها جعلتها تشعر بالتوتر. يرتدي بنطال جينز باهت اللون وقميصا طويل الاكمام. قبعته الواسعة البنية اللون يشدها بعدائية نحو حاجبيه الاسودين، اما فمه فيبدو بوضوح تجهمه. ولم تستطع ستايسي ان تتخيل ان بامكان هذا الرجل ان يبتسم.

ومع ذلك، حاولت ان تبتسم له ما ان توقف قربها، قالت:«مرحبا.» قالت ذلك بصوت ثابت، فلن تدع ولدها يلاحظ جبنها. فهي ستمتطي الحصان. ثم تابعت:«هل تعتقد انه بامكانك مساعدتي؟ لقد مر سنوات منذ ان امتطيت حصانا، ولا اعتقد...»

قاطعها قائلا وهو يشير الى الدرج قرب المخرج، حيث هناك عدد من الاشخاص يمتطون احصنتهم:«درج الامتطاء هناك.»

«آه، بالطبع.» وسارت حتى صعدت الدرج، عندما وصلت الى اعلى درجة انتظرت ان يقود الكاوبوي الحصان نحوها وهذا ما فعله بدون اي تعليق.

قال ولدها من على ظهر حصانه:«هيا، امي، كل شخص هنا مستعد للانطلاق.»

اكدت ستاسي للصبي:«قادمة جيوف.» كأني طفل في العاشرة من عمره، وشعرت بالسعادة للفرح

الواضح في صوته. لم تحتاج الا لنظرة نحوه لتعلم انه بخير. الضيوف جميعهم على صهوة احصنتهم بانتظارها. فلقد تأخرت بما فيه الكفاية.

تنفست بعمق، ووضعت يدها على مقبض السرج وأدخلت قدمها في حزام القدم. غير ان الحصان كبير جدا، وهناك مسافة كبيرة من ظهره الى الارض. وماذا سيحدث لها ان سقطت عن ظهره؟

قال الكاوبوي وقد توقف قرب رأس الحصان: «ستحتاجين لتمسكي باللجام، عزيزتي.»

عزيزتي! نظرت الى الرجل بحدة والتقت عيناها بنظرته الثابتة. رأت ان لون عينيه المظللتين بالقبعة خضراوين، ومن الواضح انهما اجمل ما في ملامحه. فجأة لاحظت نتوء في عظمة انفه وتساءلت كيف حدث له ذلك.

لكنها لم تجد في عينيه اي تشجيع لتسأل. قررت ان تترك كلمة عزيزتي تنزلق. امسكت باللجام بيدها اليسرى، وأرجعت ساقها اليمنى فوق الحصان وقفزت لتجد نفسها على ظهره.

على الفور تحرك الحصان وسار نحو الباب المفتوح، حيث اجتمع الباقون. اتسعت عينا ستايي، والان ماذا؟ الحيوان قد يخرج من الاسطبل ويبدأ بالجريان! لو انها لم توافق عندما توسل لها جيوف ان يزور مزرعة جده في الاسبوعين اللذين تظاهرت انهما عطلة لها. فهذا قد يوفر عليها المال، بدلا من امضاء الفترة في هاواي، وهي ترتدي ثيابا للسباحة وتتمدد

تحتٍ اشعة الشمس. او بامكانهما ان يستأجرا كوخاً في الجبل ويصطادان السمك حول البحيرة. وربما البقاء في المنزل وتنظيف الخزائن.
نظرت الى ابنها وشعرت على الفور ان ترددها وخوفها يتقلصان. فهو يسير في المقدمة، ويقود حصانه تماما كما تعلم في المخيم في وقت سابق هذا الصيف. وكان يمطر احد رعاة الماشية بالاسئلة عن كل شيء يتعلق بالعناية بالخيل وقيادتها. بينما هي لا تزال في مكانها، وحصانها يسير ببطء وأنفه يكاد يلامس ذيل الحصان الذي امامه.
منذ ان وصلا قبل ساعة من الوقت، لم ترَ ستايسي جيم مالوني بعد. لقد قرأت الملاحظة التي تركها لها، طالباً منها ان تستفيد من نزهة بعد الظهر. وهذا أمر غريب، فهي من عائلة مالوني منذ عشر سنوات، متزوجة من ين جيم لكنها لم تلتق بوالد زوجها الا مرة واحدة. ويا للسخرية. في جنازة دنيس. لم يذكر دنيس والده مرة، وان صدف وتحدث عنه فكان يقول انه والد قاس وبارد العاطفة.
لكن دنيس ايضا لم يكن رجلاً حنوناً ويحسن التعبير عن عاطفته.
فجأة شعرت ستايسي بالذنب. فدنيس كان زوجاً وفياً لكنه لم يكن عاطفيا. في الحقيقة، لم يكن عاطفي ابدا. وقد حاولت بجهد كبير ان تسعده، وان تكون الزوجة التي يريدها. ومع ذلك شعرت انه كلما زادت في المحاولة، كلما فقد تقديره

لها اكثر. لكنه رحل الان، رحل الى الابد.
لا تستطيع ان تتصور نفسها متزوجة من جديد. ولكن ان حظيت بفرصة لذلك، فستتزوج من رجل يبتسم دائما، ويحضر لها الازهار، ويقول لها انها جميلة. وسيفعل لها كل الاشياء التي يفعلها الرجال للنساء اللواتي يغرمن بهن.
ظهرت ابتسامة مفاجئة على وجه ستايسي. فمن كل الاحلام الغريبة، لا يمكن ان تتخيل بأنها ستجد رجلا كهذا في العالم.
نظرت وهي لا تزال تبتسم الى الكاوبوي الذي قال لها:«عزيزتي.» ادركت وهي كالمصدومة انه استدار على سرج حصانه وهو ينظر اليها. ورأى تلك الابتسامة.
سألها وهو ينظر اليها بتمعن:«هل انت بخير، جميلتي؟»
تورد خدا ستايسي. فها هو يتلفظ بتلك الكلمات المحببة من جديد، رفعت ذقنها وقالت:«لا مشكلة على الاطلاق، وفي الواقع، انني بألف خير، قد ترغب بعد فترة قليلة ان تجعلني اشارك في السباق.»
شيء ما يشبه الابتسامة ظهرت على زاوية فمه، رد قائلا:«قد يحدث ذلك.» استدار وتابع التحدث مع ابنها وكأنه لم يحدث شيء.
حدقت بغضب بظهره، وقررت ان تخبر جيم بتصرفات الرجل. لا شك انه لا يرغب في السماح لعماله بمضايقة النساء اللواتي تزرن المزرعة. لكنها

تنفست بعمق وشعرت بغضبها يفتر. لم تكن يوماً مثيرة للفتن، ولن تبدأ الان. يستطيع الكاوبوي ذو الانف المكسور ان يحدِق بها قدر ما يشاء، في المرة المقبلة لن تجفل مطلقا.

كما وانها، لم تأت الى هنا لتثير المشاكل الى العمال او كي تتذمر الىَ رئيسهم. لقد اتت من اجل الراحة ولكي تقرر ما الذي ستفعله في المستقبل. هي وجيوف. فهو لا يظهر اي تحسن في المدرسة. منذ ولادته وهو طفل هادىء، لكن مؤخرا، بعد وفاة والده، اصبح اكثر هدوء. والشيء الوحيد الذي اثاره مؤخراً هو اقتراح قدومها الى مزرعة حقيقية.

جيوف ضعيف وشاحب. وهي قلقة عليه. لا يستطيع ان يحظى بأصدقاء بسهولة، ولا يلعب مع الاولاد الذين بعمره. يقرأ بمهارة فائقة، لكنها تشعر انه يمضي الوقت غارقا في صفحات من كتب الحياة في المزارع ومع الخيول.

«انظري!» صوت جيوف المليء بالحماسة ادهشها، وجعلها تمسك برأس السرج. اشار ابنها بعيداً عن الطريق التي يسيرون عليها، نحو الوادي الكبير. توقف الكاوبوي الذي يسير في المقدمة مما جعل الجميع يتوقفون ايضا.

قالت ستايسي:«ما الامر، جيوف؟»

«الا ترينهم، امي؟ الا ترين الخيول؟»

سألت:«الخيول؟» ظللت عينيها بيدها وحدقت بقوة عبر المسافة. رأت نقاطا صغيرة تتحرك عبر الوادي،

وببطء تحولت الى مخلوقات لها ذيول وشعر على اعناقها.

«هل هي برية، والكر؟»

«اجل، برية مثل الارنب الاميركي.»

اتسعدت عينا جيوف وشهق قائلا:«واو، هل هي مثل... الموستنغ؟»

هز والكر رأسه موافقاً ودفع الجميع للسير من جديد. قال:«انها ليست من النوع الذي يمكن وضع سرج عليها، بعض منها ولد في المزرعة، وبعض منها لديها ذيول قصيرة. ونعم هناك مجموعة صغيرة من الموستنغ. نحن نتركها حرة، طالما عددها مقبول.

قال جيوف مرة ثانية:«واو.» فابتسمت ستايسي. هذا كل ما يستطيع قوله ليظهر مدى تأثره. ثم علق متابعا:«انظري الى ذلك الحصان الاحمر. انه يبدو رائع الجمال.»

استدار والكر على سرجه، لينظر. وهذا ما فعلته ستايسي لترى حصانا ارجله طويلة ويقف بكبرياء بين جماعة من الخيول من فصيلته.

الحصان فعلا احمر اللون، وجلده يلمع تحت الشمس المشرقة. ولديه اربع بقع بيضاء اللون على قوائمه وكذلك على رأسه.

قال والكر:«هذا المهر الجميل احضرناه الى المزرعة منذ سنتين من اجل تأصيل النسل. لكنه لم يبق هنا. فقد قفز فوق سياج المزرعة وهرب. تركناه هناك، وعلى الاقل، هو ينتج مهرا رائعا كل سنة.

بدأ الكاوبوي الذي يسير في المقدمة في الغناء بينما استمر جيوف في التحديق باهتمام بالحصان. ابتسم والكر باستياء بينه وبين نفسه. هذا طفل آخر مجنون بحب الخيول. هذا ما كان عليه هو نفسه منذ عشرين سنة. فكر انه أمر لن يتخلص منه مطلقا.

من ورائه سمع وقع حوافر ابالوزا، الحصان الذي اعده لصاحبة العينين الزرقاوين فاستدار لينظر اليها. هي ترتدي بنطال جينز باهت اللون وسترة فوق قميصها المطرزة قليلا عند العنق. حدق بها فرفعت نظرها اليه، ورأته يحدق بها، تفاجأ من جمال عينيها الكبيرتين. فهما تعكسان اتساعا وبطريقة ما تجذبه اليهما.

ادرك انه وبدون اي شك معجب بما يراه. امسك لجام حصانه وتراجع قليلا حتى اصبح قربها. قال بصوت منخفض:«ما اسمك، عزيزتي؟» تحرك الباقون مبتعدين عنهما وهم يسمعون غناء راعي الماشية.

ردت:«اسمي ستايسي، وانت والكر؟»

«والكر مارشل. سعيد بمعرفتك.» ابتسم فبدت كل اسنانه، وشعر بالامتنان لمبادلته الابتسام ولو بحياء. ربما قد يصبح محظوظا ويحظى برفقتها.

هزت برأسها نحو الصبي:«هذا ابني، جيوف.»

«حقا؟»

«اجل، انه يعشق الخيل، وقد كان يتوسل إلي لمدة شهور لنأتي ونزور مزرعة حقيقية.»

«لقد اتيتما الى المكان المناسب، كم ستمضيان هنا؟»

«اسبوعان بالتحديد.»

اسبوعان، وقت كاف، وجال بنظرة عليها من جديد. تجلس على سرجها بتوتر وكأنها تخشى ان تسقط عنه في اي لحظة. هذا امر جيد، ففي اسبوعين سيعلمها كيف تمتطي الحصان بطريقة جيدة. وسيعلمها اشياء اخرى، ايضا.

هز رأسه ونظر حوله. عليه ان يقوم بعمله ايضاً. كل شيء بخير، فعاد ينظر الى ستايسي. امر لم يسبق له ان شعر به من قبل هذا الانجذاب السريع اليها. ربما هذا يتعلق بالاحساس بالضعف الذي ينعكس منها.

كانت تتحدث، وصوتها يجمع بين الإثارة والهدوء معا، فأجبر نفسه على الاصغاء الى ما تقوله.

«انا حقا لست من النوع الذي يتمتع بعطلة في المزرعة. افضل عطلة قرب حوض سباحة وأشجار النخيل وشراب بارد مع مظلات كبيرة، فهذا هو نوعي.» ضحكت قبل ان تتابع:«لكن جيوف حزم امره. وعندما اتصل جيم ودعانا، من الطبيعي انني لم استطع...»

«ماذا؟» شيء ما لمع في فكر والكر، وجمد الاحساس بالاعجاب الذي كان ينمو نحو المرأة. امسك بلجام حصانه وأوقفه على الفور:«قلت ان اسمك ستايسي؟»

«لماذا... نعم، لكن...»

«ستايسي ماذا؟»

«مالوني، انا ابنة جيم في نظر القانون. فلقد تزوجت دنيس. هل كنت تعرفه؟»
شتم والكر بقوة قبل ان يحدق بها بغضب ويقول:«انت كنت زوجة دنيس! كان عليّ ان ادرك انك ستأتين في يوم ما.»
للحظات عدة حدق في وجهها الجميل، وتمنى بمرارة لو انها كانت اي امرأة اخرى. اي امرأة غير ارملة دنيس مالوني. هو يفتقد لدنيس. مع انهما لم يكونا متشابهين، لكن كان صديق طفولته. لكن دنيس هجر المزرعة، وبعد فترة قصيرة تزوج من هذه المرأة. رأى في عينيها الارتباك والحيرة. التظاهر بالبراءة يناسبها تماما. هذا ما فكر به وهو يشعر بغضبه يزداد، لأن بالطبع هذا كله تظاهر.
لم يزعج نفسه حتى باتهامها، بل مباشرة دخل في صلب الموضوع:«لا تفكري للحظة انك تستطيعين ان تنتقلي للعيش في ارضي.»
«ماذا... اي ارض؟»
قال بحزم:«هذه المزرعة لي. هل تسمعين؟ او ستصبح لي. وفقط لأنك محظوظة تزوجت من ابن الرجل العجوز، هذا لا يعني انك ستحظين بالملكية. بعد الانتهاء من كل ما يجب فعله، سأنتهي بأنني المالك الوحيد لهذه المنطقة، ولا احد غيري!»
عندما انتهى من الكلام دفع حصانه ليسير مبتعداً. لم يعد يتحمل النظر اليها بعد الان. لديها طفل! حفيد جيم! والتهديد بخسارة المزرعة اصبح حقيقيا الان.

«انتظر! ما الذي تتحدث عنه؟ انا لست هنا من اجل تملك هذا المكان.» حاولت لكن بدون جدوى، ان تدفع حصانها ليسرع وتلحق به. لكن حتى من وراء كتفه لاحظ ان لا معرفة لديها مطلقا كيف تفعل ذلك. فحصانها مازال يسير ببطء. ابتسم والكر من دون اي مرح. اذا كانت الباحثة عن الذهب تريد ان تضع اسمها في هذه المزرعة، عليها ان تتعلم كيف تسيطر على الحصان.
اوقف حصانه حتى يتمكن من ان يقول لها بصوت منخفض كي لا يسمعه احد غيرها:«انت لا تعرفين اي شيء عني، اليس كذلك، عزيزتي؟ حسنا، انا الذبابة في الحساء المعد لك. انا ابن زوجة مالوني. فاجأتك؟»
قالت:«حسناً، وبصراحة، نعم. لم اكن اعلم ان لدنيس اخ من غير والده وأمه. هل كنت في الجنازة؟»
«اجل ذهبت لعدة دقائق فقط.»
«آه، لم ارك، لكن كان هناك عدد كبير من الناس.»
«من المحتمل انك تتساءلين لماذا يهمني جداً ان املك مئة بالمئة هذا المكان.» ابتسم لدهشتها وتابع:«سأخبرك لماذا. لان هذه الارض تعود لأمي. وقد ورثتها عن عائلتها. والان رحلت، وهي من حقي انا، وليس ذلك العجوز، جيم مالوني.»
ارادت ستايسي ان تلحق بالباقين او ان تنزل عن ظهر الحصان، وعندما لم تتمكن من القيام بالامرين، امسك والكر بلجام حصانها، واقترب منها حتى تأكد

انها تعيره كل اهتمامها وقال:«عندما تزوجت امي من جيم، لم يكن يملك شيئا. والان هو رجل ثري. انت امرأة ذكية، ستايسي. فسري لي ذلك بنفسك.»
حدقت به قائلة:«افسر ماذا؟»
«لا استطيع ان ابرهن ما اريده، وربما لن استطيع. لكنني اعلم كما اعرف هذه الجبال، ما ان حظي جيم بالوكالة الرسمية على ممتلكات امي، حتى وكأنه قتلها.»

الفصل الثاني

حدقت ستايسي بالكاوبوي بدهشة، قالت وهي تضغط على اللجام:«جيم قتل امك؟»
نظر والكر الى البعيد، ووجهه متجهم ومتوتر، قالت:«قلت وكأنه قتلها.» لعدة لحظات لم يقل المزيد، بالكاد وقف يحدق بالخيول البرية. لكنها كانت متأكدة انه لا يرى الا القليل، سمعت صوتا عميقا ومنخفضا:«لم يكن مناسبا لها. قوي جدا ومتحكم. وهي لطيفة ورقيقة. لقد عمل كل ما يريده دون ان يسألها، ومازلت لا اعرف لماذا تزوجت منه.»
سألت ستايسي بحذر:«مما ماتت بالتحديد؟»
انكمشت على نفسها من الغضب والألم في عينيه:«يقولون من السرطان، اما انا فأقول من خيبة الأمل.»
وعلى الرغم من الألم الواضح الذي يشعر به، رفضت ستايسي ان تتخلى عن الموضوع. لقد اتهم جيم بوضوح. سألته:«وما هو السبب المحتمل لدى جيم ليريد ان تموت امك؟» على الفور، ارتجفت من جراء سؤالها، لكنها اوضحت قائلة:«اقصد، انك ذكرت انها كانت لطيفة وحنونة.»
«كما قلت لك، لم يكن لدى جيم شيئاً قبل ان يتزوجها. وكانت تملك مزرعة من ثلاثين الف آكر. هذا سبب واضح، اليس كذلك؟»

www.elromancia.com

ترددت ستايسي، فهي لا تريد القول: لا، ليس واضحاً. خصوصا ان مزاج والكر متقلبا. وهي ليست متأكدة ان كان سينفجر بها غاضبا ان تمادت في الكلام. ولهذا، قررت ان تأخذ منحى آخر. دنيس لم يذكر مطلقا انه كان لديه اخ غير شقيق، وكأن والكر، وكل ما تبقى من عائلته، لم يكونوا موجودين مطلقا. لذلك تساءلت ان كانت علاقة الاخوين تظهر كلها شيئا ما.

«لا بد انك كنت من عمر دنيس، وهكذا نشأتما معاً؟»

وعندما اومأ برأسه، سألته:«وكيف كنتما معا؟»

رفع كتفيه قائلا:«كنا متفاهمين. هو يحب القراءة والبقاء في المنزل، وانا كنت احب اللعب في الخارج، وفيما بعد، العمل في المزرعة.» توقف عن الكلام فجأة ليسألها:«ماذا تريدين معرفته؟»

«دنيس كان زوجي، ووالد طفلي. من الطبيعي انني اريد ان اعرف عنه الكثير، من اجل مصلحة جيوف.»

بدا وكأنه مقتنع بما سمعه، نظر الى الضيوف ثم اقترب منها مجددا وعاوده ذلك الاحساس المخادع، قال:«تريدين ان تعرفي ما الذي حدث؟ حسنا، امي تركت هذا المكان لجيم لأنها تصورت انه سيعتني بدنيس وبي. يا للسخرية!»

قالت بقسوة:«لكنك مازلت هنا، اليس كذلك؟»

ضاقت عيناه ،قال بنعومة:«بالطبع، عزيزتي، مازلت هنا. وهذا امر يجب ان تتذكريه دائما.»

احتفظت بهدوئها رغم قلقها وقالت:«خوفاً من ان اكرر نفسي، دعني اؤكد لك ان لا رغبة لدي في هذه المزرعة. انا ولدت في المدينة ونشأت فيها، وأحب العيش هناك. لا داع للخوف مطلقا مني.»

«تعتقدين انني خائف؟»

تنهدت ستايسي:«لا، انا...»

«لا تقلقي بشأني. كما وان، لا حق لديك مطلقاً في هذا المكان.»

«لكنني لا اريد...»

«حقا؟ اذن لماذا اتيت الى هنا؟»

شدت ستايسي على اسنانها وقالت:«قلت لك، للزيارة.»

ظهرت ملامح مشككة على وجهه لم تر مثلها من قبل، قال:«حقا. وعندما تنتهي الايام الخمسة عشر، سترحلين ولن نراك ثانية؟»

تحركت على ظهر حصانها. فالوقاحة في هذا الرجل بدأت تزعجها. لم يظهر لها اي احترام، لا شيء غير عداوة هي لا تستحقها. جعلها تشعر بأنها غير مرغوب بها وبعدم الراحة، وهكذا رغبت في مضايقته ولو قليلا، قالت:«ربما سنعود في الخريف لزيارة اخرى. وربما سنعود في زيارات منتظمة. هل هذا يزعجك؟»

زفر قبل ان يجيب:«لا يمكنك ازعاجي حتى ولو حاولت.» دفع بحصانه الى الامام وسار بجوار الضيوف، يسألهم بتهذيب ان كانوا يستمتعون

بنزهتهم. راقبته ستايسي وهي تشعر بالضيق لأنها حاولت استفزازه. فليست هذه طبيعتها، لكنها تلقي اللوم عليه.

يبدو انه اليوم جعلها ترى اسوءِ ما فيها. تنفست بهدوء وهي تلحق بالباقين. حسنا، انها دائما امرأة تعمل على التوافق بين الجميع. وكثير من الناس معجبين بها. وفي نهاية الامر، سيدرك والكر انها لا تشكل اي تهديد له، وسيعجب بها هو ايضا. انها متأكدة من ذلك.

دخل جايمس باتريك مالوني المنزل مسرعاً و قال بصوته الخشن:«ستايسي، عزيزتي.» ضمها إليه حتى كاد يحطم ضلوعها. ثم وضعها ارضا. بدا غروب الشمس الرائع من نافذة المنزل الكبير في المزرعة، يسطع على شعره الرمادي الابيض. «تسعدني رؤيتك ولو كانت متأخرة عشرة او احدى عشر عام. اين الصبي؟ اريد ان ارى حفيدي.» واستدار لينظر حوله باحثا عنه.

وضعت ستايسي يدها على ضلوعها لتتأكد انه لن ينكسر اي ضلع في صدرها، قالت:«آه، جيوف في الطابق العلوي، يستحم. عملنا بنصيحتك وذهبنا في نزهة بعد الظهر. سيأتي على الفور.»

«رائع. رائع.» قال ذلك وسار نحو طاولة الشراب، سكب لنفسه شرابا وهو يتابع:«انتظرت كل ذلك الوقت، وأعتقد عدة دقائق اخرى لن تؤذيني. اما الان فسنتحدث.» اعجبت ستايسي بالديكور الداخلي للمنزل والذي

يظهر مدى تعلق السكان هنا بمزرعتهم. وطالما ان المطبخ لا يبعد عن غرفة الجلوس، فرائحة الخبز والدجاج المشوي تملأ المكان.

دخل والكر الى الغرفة، وعلق قبعته قبل ان يشير الى الشراب قائلا:«لديك المزيد من هذا؟»

رفع جيم كتفه قائلا:«اذهب واحضر بنفسك.»

ازداد تجهم والكر، وتساءلت ستايسي عن سبب لهجة جيم العدائية. نظرت الى والكر، فرأته مازال مرتديا ذات الثياب، وقد رفع كمّي قميصه الى ساعديه، واللذين بديا قويين ويتحملان الكثير الكثير من العمل والجهد. الان بعد ان نزع قبعته، يمكنها ان ترى ان شعره كثيف، بني اللون ولامع. مازالت عيناه تلمعان بشدة، وعندما التقت عيناها بهما، على الفور شعرت بالتوتر يعاودها.

كان جيم يقول:«واعتبري نفسك في بيتك هنا، ستيس. فكل ما املكه هو لكما.»

من ورائها احداث والكر ضجة ما. فنظرت ستايسي إليه. لكن جيم جذب انتباهها من جديد:«والآن اخبريني عن الجولة على الحصان؟ وهل قدم لك والكر حصانا جيدا؟»

رشفت رشفة من الشراب الذي قدمه لها جيم وقالت:«آه، نعم كانت سبوت.»

«سبوت.» استدار جيم على الفور ليقول الى والكر:«اعطيتها ذلك الحصان البليد؟ ما الذي حصل لك؟ لِمَ لم تعطها بوسكو او موستاش؟»

«لأن بوسكو وموستاش كانا ليرمياها على الارض بلمح البصر. وبطريقة ما اعتقدت انك لن تسعد من ذلك.»

«انه جزء من عملك ان توافق بين الخيول والضيوف، واي احمق سيعلم انني ما كنت لأرغب لزوجة ابني ان تمتطي ذلك الحصان الكسول، سبوت.»

اكد له وهو ينظر الى ستايسي:«كنت اقوم بواجبي تماما، وانا اوافق بين زوجة ابنك والحصان الذي تستطيع ان تمتطيه. لو انك رأيت...»

«من فضلكما.» لوحت ستايسي بيدها في الهواء وهي تتابع:«لا تتجادلا من اجلي. انا متأكدة ان والكر كان على حق في اعطائي حصان هادىء. اخشى القول انني لا اجيد ركوب الخيل.»ابتسمت معتذرة من جيم، متمنية ان يسود الهدوء بينهما.

نظر جيم بغضب الى والكر للحظة طويلة، بعد ذلك استدار نحو ستايسي، وهو بمزاج الطف، قال:«لا بأس، ستيس. اذا كان يعجبك العجوز سبوت، يمكنك ان تمتطيه قدر ما تشائين.»

في تلك اللحظة ظهر جيوف عند حاجب الباب، شعره الأشقر مازال رطبا لكنه مصفف بعناية الى وراء اذنيه. قال:«وانا يمكنني ان امتطي سكيبر قدر ما اشاء؟»

قال جيم بصوت عال وهو يبتسم له:«بالطبع يمكنك ذلك، فأنت حفيدي، اليس كذلك؟ يمكنك ان تفعل كل ما تشاءه في هذه المزرعة. والان تعال ودعني انظر إليك.» واشار الى جيوف ليقترب منه.

بعد نظرة متسائلة الى امه، سار الصبي ببطء نحو الرجل الغريب. مدّ جيم يده الكبيرة، حدق جيوف باليد قبل ان يترك يده تغرق في يد جده:«واو، سيدي، لديك يد كبيرة جدا.»

ارجع جيم رأسه إلى الوراء ضاحكاً:«هذا صحيح، بني. انا كبير جدا. وانت نحيل جدا. لكن سنعمل على ان تصبح سمينا في بارام.»

«لكنني لا اريد ان اصبح سمينا.»

ضحك جيم من جديد وابتسمت ستايسي، كما وانها شعرت انها رأت اثارا للمرح في تعابير والكر، لكنها اختفت بالسرعة ذاتها التي ظهرت فيها، قالت محدثة ابنها:«لن تصبح سمينا، أعدك بذلك. ولا تقل لجدك سيدي.»

قال جيم مقترحاً:«ما رأيك بجدي؟ احب ان اسمعها منك.»

قفز الولد على كرسي من المعدن وقال:«حسناً، جدي، لن تصدق ما الذي رأيناه اليوم! خيول برية. قال والكر ان هناك موستنغ بينها.»

قال جيم بغضب:«هكذا اذن، ها قد عاد وايلد هورس والكر من جديد، صحيح؟»

بدا جيوف مربكا تماما كستايسي، قالت:«وايلد هورس والكر؟»

«هذا ما نناديه به في هذه الانحاء.» وأمسك بعدد من حبات الفستق ورماها في فمه دفعة واحدة. لاحظت ستايسي ان والكر بدا حذرا، تابع جيم:«انه

مجنون بالخيول ذات الذيول كالمكنسة، حتى لو كانت لا فائدة منها.»

امر غريب ان والكر لم يتحدث مطلقاً.

قال جيوف:«لكن اليوم رأيت حصاناً رائعاً. احمر وبني اللون ولديه بقع بيضاء على قوائمه، انه مميز جدا.»

«حسناً، هذا الحصان ليس من فصيلة الموستنغ. اشتريت ذلك المهر منذ سنين قليلة لتحسين الانتاج. فهو من سلالة عريقة في الخيول. لكن كان من الصعب التعامل معه. وبطريقة ما هرب. فشخص نسي باب الاصطبل مفتوحا بطريقة الصدفة.» ورمى والكر بنظرة اتهام، والذي بقي صامتا.

مرة ثانية شعرت ستايسي بالرغبة في التدخل. شخص ما عليه ان يضبط الحديث بانتظام هنا.

«هذا امر سيء، جيم، لكن انا وجيوف نريدك ان تعلم كم نحن ممتنان على دعوتك لنا للقدوم الى هنا. نحن بحاجة الى عطلة وجيوف كان يتوسل للذهاب الى مزرعة. في الواقع، لم يمض على وجودنا اكثر من عدة ساعات، وانا لم اره سعيدا هكذا منذ..» كادت ان تقول:منذ قبل وفاة دنيس، لكنها امسكت نفسها في الوقت المناسب، وقالت بدلا عن ذلك:«زمن بعيد.»

اشرق وجه جيم وقال:«هذا خبر جيد، يسعدني حضوركما. والان، انا جائع. لا بد ان ميريام قد اعدت العشاء في هذه الاثناء.»

وضع والكر كوبه جانباً وقال:«سأذهب لأعاين المهر الجديد.»

تجاهل جيم والكر ودفع ستايسي وجيوف نحو غرفة الطعام. ومن وراء كتفها، رأت ستايسي والكر يحمل قبعته ويسير نحو الباب، سألت:«الن يتناول والكر الطعام معنا؟»

«لا، سيتناول عشاءه فيما بعد. انه ليس من النوع الاجتماعي، بكل الاحوال. وهو لا يحب ان ينضم إلينا.»

وقفت ستايسي عند الباب، لتدع جيم وجيوف يدخلان ويرحبان بالضيوف الذين كانوا بانتظار ميريام لتقدم لهم الدجاج المشوي. خارج النافذة رأت والكر ينزل الدرج ويتجه نحو المخزن الكبير، وقد مال بقبعته نحو عين واحدة. بدا متعبا وهو يسير لكن بكبرياء. مع انها متأكدة انه يعلم انه يظهر من حيث تقف لكنه لم يرفع نظره نحوها للحظة، ولم يحاول حتى.

تناول العشاء عمل اجتماعي بامتياز، مع وجود اثني عشر شخص. وهناك ثلاثة او اربعة اطفال تقريباً بعمر جيوف، ومع ذلك بقي بقرب ستايسي، ينظر الى الاطفال بخجل. جلس جيم الى رأس الطاولة يخبر قصصا رائعة عن حياته ومغامراته في المزرعة، وعن الشتاء في تلك المنطقة حيث الصقيع لا يجمد فقط خزانات المياه بل القطيع وهو يقف في الطرق والمراعي. احب الضيوف تلك القصص، ولاحظت ستايسي ان جيوف يكاد يطير من الفرح.

* * *

استيقظت ستايسي على صوت جيوف والذي تخيلت انه يحدثها بعد عدة دقائق من نومها، كان يهز كتفيها ويقول:«امي، امي، عليك ان تنهضي. ستشرق الشمس على الجبال، وسنخسر نزهة الصباح.»

فتحت عينا واحدة، ونظرت الى الساعة بقرب سريرها:«جيوف، انها الخامسة صباحاً. ونزهة الصباح ليست قبل التاسعة والنصف.»

«آه.» جلس على جانب سريرها، وتقلصت ابتسامته:«آسف.» لاحظت حتى في الضوء الخافت انه ارتدى كامل ثيابه بما فيه حذاءه الطويل وسترته السميكة. تابع:«لكن هل استطيع الذهاب الى الاسطبل وانتظر هناك؟ قال جدي انني استطيع ان افعل كل ما اريده.»

رفعت ستايسي جسمها على كوع واحدة وفركت عينيها. قالت:«جيوف ستنتظر هناك اربع ساعات ونصف؟ هيا، فأنت بحاجة لتناول الفطور، وهذا لن يقدم قبل السابعة. كما وان، كيف ستعلم ان كان استيقظ احد غيرك؟»

«قال والكر انه ينهض باكراً. قال ان عمال الماشية عليهم النهوض مع الشمس.» وانتظر جوابها.

«حسنا.»

«يا هو...!» قفز الولد عن السرير وكاد ان يصل الى الباب قبل ان تتمكن ستايسي من ايقافه.

«انتظر لحظة، ايها الشاب الصغير. يمكنك الذهاب الى الاسطبل اذا وعدتني ان لا تزعج احدا.»

«حسناً.»

«وان لا تقترب مطلقاً من الخيول، مفهوم؟ انتظر العمال، وافعل كل ما يقولونه له.»

«حسنا.»

«وكن مهذباً.» كانت تتحدث مع الهواء. فقد اسرع بالرحيل كالبرق، وها هي تسمع خطواته الصغيرة على الارض الخشبية. ابتسمت، فهذا امر جيد له. لقد امضى معظم اوقاته داخل المنزل يقرأ، وهو بحاجة الى الهواء النظيف والتمارين الرياضية.

جلست ووضعت قدميها على الارض. ما ان لمست الارض حتى تكومت اصابع قدميها وارتجفت.

اجبرت نفسها على ارتداء ثيابها بسرعة، بنطال جينز وقميصا قطنية. وجاكيت سوداء، نظرت الى نفسها في المرآة بانزعاج. اكتشفت البارحة ان ثيابها لا تناسب مطلقا الحياة في المزرعة. كل الضيوف، بمن فيهم السيدات المتقدمات في العمر حتى اصغر طفل، ينتعلون احذية طويلة الساق، ومنهم من يرتدي احزمة لحمل المعدات وكذلك يعتمرون قبعات واسعة.

ضحكت وهي تفكر ان اي كاوبوي حقيقي مثل والكر، سيعتبرها واحدة من سكان المدينة ولو على بعد مئات الاميال. اكدت لنفسها، لا بأس بذلك. فهي لا تملك المال الكافي لشراء حذاء خاص بالمزرعة وحزام وقبعة ومثل تلك الاشياء، ليس من اجل اسبوعين فقط، لتؤثر بأي راعي ماشية، وخصوصا والكر.

ما الذي يجب ان تفكر فيه فعلاً هو مستقبلها. فالحقيقة المرة انها بحاجة الى عمل، ومدخراتها لن تكفيها لمدة طويلة. لسوء الحظ، لا تستطيع ان تذهب الى امها طلبا لقرض، وهذا ما لا تريده ايضاً. فأمها ارملة منذ سنوات عدة، ومؤخرا وجدت رجلا احبته وتزوجت منه. والزوجان الجديدان يهتمان لبعضهما جدا لكن لا يملكان الكثير من المال.

تنهدت، ومشطت شعرها ومررت الماسكار في رموشها، ثم ذهبت الى المطبخ باحثة عن القهوة. حتى في هذا الوقت الباكر المنزل يضج بالحياة. مرت امام عدة غرف، ونظرت الى داخل غرفة وجدت بابها مفتوحا. من الواضح انها مكتب جيم، طالما انها تحتوي على مكتب وجهاز كمبيوتر، خزانة مليئة بالملفات وصوفا من الجلد.

هل عليها ان تذهب الى وكالة للتوظيف لتبحث عن عمل في شركة للبناء؟ هل تعلم الكثير عن الاعمال، فدنيس كان مهندسا. ام ان عليها ان تذهب الى عمل مختلف كليا؟ بعد مضي سنوات في المصنع، اهتماماتها قد تغيرت. نظرت الى الكمبيوتر وعضت على شفتها. ربما تستطيع ان تذهب الى مدرسة ليلية لتصبح منظمة برامج في الحاسوب الالكتروني.

اصبح جيوف قربها، يشد بيدها:«امي، هيا، عليك ان تذهبي وتري كم هناك من الخيول في الاسطبل والماعز والخراف وحتى ذلك الحصان الصغير الذي حتى انت لا تستطيعين امتطائه.»

وصلا الى الباب الامامي، وقد مرا امام غرفة الطعام، اشتمت ستايسي رائحة الحلوى واللحم المجفف. ميريام، امرأة في الخمسين من عمرها، تم استخدامها لاجل الطهي، وهي تعمل بسرعة الان. لمحت ستايسي، فتوقفت عن العمل وابتسمت، بدت الخطوط في وجهها لطيفة.

مندفع في عمله، تابع جيوف شدّ امه، فنظرت بحزن نحو قالب الحلوى وابريق القهوة.

قالت:«آه، جيوف، ما رأيك في تناول قطعة من الحلوى سريعا؟»

«امي، لن تصدقي عدد الخيول لديهم.» تابع وكأنه لم يسمعها: «ويقول والكر انني استطيع كل صباح المساعدة في اعدادها.» توقف عندما وصلا الى منتصف الطريق نحو المخزن. نفخ جسمه، وضرب صدره الرقيق:«يقول والكر انني الان اقوم بأعمال الرجال، وانني راعي ماشية صغير.»

ابتسمت ستايسي الى وجهه المشرق، شعرت بالجوع، لكنها تجاهلت الامر. رؤية ابنها بكل هذا الحماس، من اجل هذا المكان، من اجل اي شيء يجعل قلبها يغني. وفكرت ان باستطاعة الطعام الانتظار.

لم يكن هناك غير رجل واحد في الاسطبل يعتني بالخيول ويضع السروج عليها. رأت والكر يعمل بمهارة لم تستطع الا ان تعجب بها، ابتعدت من الحيوانات الكبيرة واخذت تراقب بينما كان جيوف يتحدث. تجاهل والكر وجودها، او ربما هو منشغل

جداً ولا يستطيع حتى إلقاء التحية عليها. هذا ما قالته لنفسها، لتسامحه على تصرفه. ففي النهاية، لقد اتخذت قرارها ان عليهما ان يكونا صديقين. وهي متأكدة ان كل منهما سيعجب بالآخر ان اعطي الفرصة للتعرف عليه.

اقترب والكر من الدرج النقال في الزريبة الكبيرة وهو يحمل حبلاً. كان يرتدي بنطال جينز وقميصا زرقاء اللون معتمرا قبعته الواسعة، لاحظت ان بشرته بنية اللون، وحاجبيه مقفلين في تلك النظرة المتجهمة. رأته يهمس في اذن حصانه، في البداية رأت الحصان يصبح اكثر هدوء بسبب صوت والكر المشجع ولمسته. وادركت ان لديه مهارة خاصة في التعامل مع الخيول.

تحدث بنعومة. وبسهولة امسك حصاناً وقاده الى مكان حيث يستطيع وضع السرج عليه. وبيدين ماهرتين رتب الغطاء، متأكداً من عدم وجود اي تجمع تحته، قال لها جيوف:«وهكذا لن يزعج ظهر الحصان.» وببطء وضع والكر اللجام في فم الحصان.

مررت ستايسي يدها على شعر ابنها وقالت:«من المؤكد انك تعلمت الكثير في وقت قصير. اعتقد ان على رعاة الماشية الصغار معرفة كل شيء عن الخيول.»

«هذا صحيح.» وقفز بفرح داخل المخزن مع وعد انه سيهتم بملاحقة الماعز اينما وجدها.

عندما تم وضع السرج على آخر حصان وربط بأمان في سياج الزريبة، استدار والكر وسار مباشرة نحو ستايسي. راقبته يقترب بقلق.

وضع يده على العمود بجانبها وقال:«صباح سعيد، سيدة مالوني.» إبتسم متابعا:«هل غفوت جيدا؟»

هل سيكون لطيفا اليوم؟

«حسنا، في الواقع نمت طوال الليل، حتى ايقظني راعي الماشية الصغير عند الفجر.» بامكانها هي ايضا ان تكون لطيفة. «وانت هل غفوت جيدا؟»

بتهذيب انتظرت إجابته، لم يبعد والكر نظره عنها، بل وقف يراقبها. عيناه الخضراوان تحملان غموضا وأفكارا لا تستطيع مطلقا ان تفهمها.

رفع قبعته بإبهامه، وكأنه يريد ان يراها بصورة افضل، وفجأة وضع يديه حول خصرها ورفعها عن السياج. ولتحافظ على توازنها امسكت بكتفيه القويتين والدافئتين.

سألها بصوت اجش عندما اصبحت قدميها على الارض:«تريدين ان تعرفي كيف غفوت؟ الحقيقة، هناك كثير من الامور تشغل بالي. ولدي شعور، انه طالما انت هنا، لن ارتاح كثيرا.»

قالت وهي تبتعد عنه:«اذن، اني آسفة على ازعاجك، وكما تعلم، لا داع لتهتم بوجودي.»

«حقا؟» ونظر اليها من جديد.

قال جيوف وهو يسير معهما:«هاي، والكر، كيف كسرت انفك؟»

تفاجأت ستايسي من خرق ابنها للأخلاق الحميدة:«جيوف.»
انحنى والكر قرب الصبي وقال:«لا بأس.» ارتاحت ستايسي لأنها لم تعد مركز اهتمامه، لأن لديه قدرةٍ على ازعاجها. ابتسم الى الطفل، وقال:«كنت قريبا من عمرك، وربما اكبر بسنتين. قررنا نحن الصبية ان نقوم بمصارعة الثيران بمفردنا، تماما هنا في الزريبة. حسنا، كنت صبيا مشاكسا، وتصورت انني استطيع امتطاء ثور جيم الكبير.»
شهقت ستايسي:«في عمر الثانية عشر امتطيت ثورا!»
اومأ برأسه وقال:«ربما في الثلاثة عشر، بكل الاحوال، امضيت عمري وأنا نادم على القيام بذلك.»
امسك النتوء في انفه، ابتسم وتابع:«تمكنت فقط من قفزتين قبل ان يجن ذلك الثور القديم ورمى بي على السياج. في الواقع، اعتقد ان هذه البقعة هي حيث ضرب وجهي بالعمود. اتراها؟»
اتسعت عينا جيوف وقال:«واو.» حدق بالخشب المجروح وقال:«هذه البقعة الكبيرة، اني متأكدٍ.»
ضحك الكاوبوي وضحكت ستايسي ايضا. من المذهل رؤية ما تفعله ابتسامة لملامحه القاسية. تلمع عيناه وتظهر تجاعيد صغيرة حولهما. ما ان انتهت من الضحك، حتى وجدت نفسها تحدق به باستغراب.
سمع صوت محرك لشاحنة، فاستدارا معاً، قاد جيم

الشاحنة وترك اثار الغبار على الطريق وهو يغادر المزرعة.
قال والكر:«ها هو يذهب من جديد.»
سألته ستايسي:«ماذا؟»
«لا شيء، لم أقل شيئا.» واختفت ابتسامته.
امسكت ستايسي بذراعه، بدا لها من المهم ان تعرف:«قل لي، الى اين يذهب جيم؟»
نظر اليها وقد قطب جبينه:«هل انت متأكدة انك هنا من اجل زيارة فقط، الحقيقة، انني لا اعرف الى اين يذهب. فهو لا يتحدث معي كثيرا. وعادة انا لا اتجسس على الاماكن التي يقصدها في ذهابه وايابه. لكنني سأشغل نفسي بمراقبتك، سيدة مالوني.» ابتسم ثانية، لكن الابتسامة لم تصل الى عينيه.
بارتباك، شهقت ستايسي من هجومه المفاجيء، وشعرت بتورد خديها وبألم يندفع في داخلها.
تابع على الفور:«طالما انت هنا في بارام، سأبقي عينيّ عليكِ.»

الفصل الثالث

اتى والكر الى العشاء تلك الليلة، وهذا ما فاجأ ستايسي، والتي اعتقدت انه لا يأكل مطلقا مع الضيوف. لكن عند الساعة السادسة بالتحديد كان في غرفة الطعام واقفا وراء كرسي الى يمين جيم، وعلى الفور شعرت ستايسي بالحذر فما زالت كلماته ترن في اذنيها: سأبقى عيني عليك.

رآها جيم تتردد وراء احد الضيوف عند الباب فأشار اليها والى جيوف ليجلسا على الكرسيين عن يساره، وهو يقول بصوته العالي:«هيا، لنأكل.»

راقبها والكر وهو لا يزال واقفا، بنظرة ساخرة. حدقت به بغضب، لكنه بالكاد احنى رأسه، وكأنه يوافق ان عليها ان تأكل.

عندما جلست هي وابنها، قبل جيوف طبقاً كبيراً من الطعام، مليئا باللحم المشوي والبطاطا والبروكلي المغطاة بصلصة الجبن.

لكن الولد تجاهل الطعام اولاً، انحنى عبر ستايسي محدثا جده:«جدي، هل استطيع الذهاب غدا في جولة الخيول؟ ربما استطيع ان ارى ذلك الحصان البري مرة ثانية.»

«بالطبع، بني، بالطبع. راعي الماشية سيأخذ المجموعة كلها الى ذلك المكان غدا، أليس كذلك، والكر؟»

مضغ والكر طعامه، وملامح وجهه متحفظة، لكنه

يبدو وسيماً وجذاباً وقد صفف شعره الى الوراء. قال:«هذا ما سأفعله.»

بدا الاهتمام على الاشخاص الذين لم يذهبوا في نزهة ذلك اليوم.

قال جيوف:«ستأتين انت ايضاً، امي، اليس كذلك؟»

رفعت ستايسي نظرها، ولسبب ما التقت نظرتها بعيني والكر، قالت:«آه، لا. انني متعبة قليلا من رحلة البارحة.»

قال جيم:«ستتخلصين من ذلك الاحساس، كما وان تلك الموستنغ هي مجموعة مزعجة. ولا اعلم لماذا يريد كل شخص النظر اليها. بكل الاحوال، ان اردتم رأيي، اقول يجب ان نقدمها كلها الى مكتب العناية في المنطقة ليهتم بأمرها.»

قال والكر محدثا زوج امه بانزعاج:«لدى ذلك المكتب خيول اكثر بكثير مما يستطيعون الاعتناء بها. كل ما عليك هو ان تتركها حيث هي، فهي لا تؤذي اي شيء.» وتابع تناول طعامه.

نظر جيم اليه بمرارة، وقال:«بالطبع انها مؤذية، فلا احد يحتاجها.»

قال رجل في الاربعين من عمره، مرتدياً ثياباً كراعي ماشية قديم:«اعتذر منك، فهذا الامر ليس من شأني، جيم. فهذه مزرعتك. لكن اعتقد انها مفيدة جدا لنا. اتمانع ان قلت رأيي؟»

«تفضل بوتر! يمكنك ان تتحدث بكل صراحة.» واتسعت ابتسامته وهو يتابع:«كل شخص له الحق ان يدافع عن رأيه.»

قال بوتر:«حسناً، ربما هي لا تجني لك المال، لكنني كنت في الجولة البارحة، ورأيتها، من الروعة النظر اليها، فهي مختلفة. ولا يملك اي حصان مدجن ما تملكه. وتلك الصفة بحد ذاتها كافية للحفاظ عليها.»

سمع كلام هامس من جميع الضيوف.

هز والكر رأسه موافقاً عما سمعه، ثم استدار محدثاً جيم:«كلام جيد، فهي جزء من ميراثنا الغربي.»

قال جيم بصوته المخيف:«ما هذا الكلام السخيف، والان بوتر اتمنى ان لا تنزعج ان تحدثت معك بصراحة.»

جلس بوتر باستقامة على كرسيه وقال:«تفضل.» لكن ستايسي لاحظت ان الجميع بانتظار ما سيقوله جيم.

اشار الى والكر وهو يقول:«تذكرني بأحد عمال الماشية هنا.» ومسح الزبدة على قطعة من الخبز، فتسِاءلت ستايسي لما ينادي والكر بعامل للماشية، بدلاً من ان يقول بني، او حتى ابن زوجتي. هل يتجنب ان يعلم احد انهما اقارب؟

تابع جيم:«مثلك انت، تلمع عيناه بالدموع على تلكٍ الخيول الطويلة الذيول، وفي الحقيقة، لا ارى سببا لذلكٍ، فهي لا تستعمل لاي شيء، رؤوسها كبيرة جداً، وهي بشعة، في احد الايام، سأقدمها كلها الى مكتب اصلاح الاراضي.»

لاحظت ستايسي، ان تجهم والكر يزداد كلما اضاف

جيم كلمة اخرى، قال وهو يمسك بشوكته:«وأين سيضعونها، فلديهم الكثير من العمل، ولن نصاب بأي اذى ان عملنا على حماية هذه المجموعة القليلة التي تعيش في التلال.»

كان والكر يزداد غضباً، لكن ستايسي لاحظت انه يحافظ على هدوئه، كما وان صوته بقي هادئاً:«سمعت قصصاً عن مسالخ تأخذ المئات منها وتحولها الى طعام للكلاب.»

تأوهت ستايسي وهذا ما فعله معظم الزائرين.

هيا، انت تعلم ان هناك قوانين تمنع ذلك. وقد تم ضبط هذه الامور، ومن المفترض ان لا يحدث ذلك ثانية. لكن هناك الكثير منها، بكل الاحوال. وهذه المزرعة ليست محمية طبيعية، بل املاك خاصة. متى ستدرك ان هذه الخيول مصدر ازعاج، تأكل المراعي، وتحطم السياج، وتدوس المحاصيل، وتلوث الآبار. انها تفسد الارض للقطيع.»

اومأ والكر برأسه وقال:«لا، انها تنشر بذور النبات وتسمّد التربة. الشتاء الماضي عندما تجمدت الارض، فتحت الطريق للحيوانات الاخرى وحفرت لها آبار المياه لذلك القطيع الذي تتذمر لاجله.»

شعرت ستايسي ان جيم جاهز للمجادلة من جديد، انحنت لتمسك بوعاء الخضار، قالت:«اتريد المزيد من البروكلي، جيم؟ لقد احببت جداً صلصة الجبن. أليس كذلك؟»

نظر الرجلين اليها متعجبين. يبدو بوضوح انها

تستطيع قراءة افكارهما، كيف تجروء. امرأة فضولية، تنهي شجارا قويا؟ شعرت بخديها يتوردان من الارتباك، لكنها اصرت على دفع الوعاء تحت ذقن الرجل:«اتريد القليل، لا ترغب في ان تعتقد ميريام انك لست راضيا عن طعامها، اليس كذلك؟» لم تكن بحاجة لتلك المحاولة. وقف والكر، واسقط منديل ا لطعام على كرسيه وقال:«ارجو المعذرة، عليّ ان اذهب الى المهر.» احنى رأسه إلى بوتر ثم الى ستايسي، ورماها بنظرة لم تدرِ تماما ما قصده بها، ثم سار مبتعدا.

إذا فكر جيم ان وجود والكر مزعجاً، فهو لم يعلق ولم يظهر ذلك. بالكاد هز رأسه للرجل ثم تابع تناول طعامه. تابع الضيوف الحديث عن الخيول البرية، لكن حماس ستايسي واهتمامها غابا. شعرت كم كان والكر متعاطفا مع تلك المخلوقات، ووجدت نفسها منجذبة الى ما قاله. عندما رأته للوهلة الاولى في غرفة الطعام، شعرت بالقلق، والان هي تشعر بالاسف لأنه رحل.

بعد العشاء. عندما اقترح جيوف ان يذهبا لرؤية المهر الحديث الولادة في المخزن، وافقت على الفور، ليس لأنها تريد رؤية والكر، قالت لنفسها، بل لأنها لم تر مهرا من قبل. فوالكر رجل بارد، قاسي، وقد اكتفت من هذا النوع من الرجال.

الطقس بارد، لفت ذراعها حول كتف ابنها، وهي ترتجف. ضمها اليه وهما يسيران المسافة القصيرة

نحو المخزن الكبير. هناك اطفال غير جيوف في المزرعة، اطفال الضيوف، ومنهم اولاد العمال في المزرعة. تمنت ستايسي ان يتغلب على خجله ويصبح لديه اصدقاء منهم في القريب العاجل.

رأت في الداخل، مصباحا قديما يضيء زريبة القش، ورائحته الناعمة تعطر الهواء. حرارة اجسام الحيوانات ترفع درجة الحرارة في المخزن وبشكل مريح. من الناحية الاخرى للمخزن سمعت اصوات حركة حصان، ومن حواجز الاسطبل مدت ستايسي رأسها فوق كل باب حتى وجدت والكر جاثيا بجانب مهر ملون وأرجله الدقيقة مكومة تحت جسمه. بجانبه امه، تمضغ العشب.

شهقت ستايسي:«آه، انها جميلة.»

صحح لها وهو يمرر يده على عنق المهر:«انه مهر وليس مهرة.»

حاول جيوف بقوة ان ينظر من فوق الباب، لكنه لم يستطع.«هل استطيع ان أراه؟»

قال والكر:«اذا تحركت ببطء وتحدثت بصوت منخفض، يمكنك الدخول، فنحن لا نريد ان نزعج الام او نخيف المهر.» لاحظت ستايسي انه يعتمر قبعته، لكنه مثلها لم يرتد سترته، رغم البرد القارس.

فتحت ستايسي الباب، فدخل جيوف. جثى بجانب المهر ومدّ يده ليلمس شعره الناعم، بدا جيوف متوترا جدا. فابتسم والكر من تعابير القلق على وجه جيوف ونظر نحو ستايسي.

حبست انفاسها، متفاجئة كم يبدو وسيماً عندما يبتسم، ولم تستطع الا ان تبادله الابتسامة ولو بخجل.

امضى جيوف عشر دقائق وهو يسأل والكر اسئلة عن المهر. وأجابه والكر عن كل شيء، مفسرا له ان هذا حصان رباعي، وهو يمتاز بمهارته في العمل في المزرعة لأن لديه كتفين قويين وقائمتيه الخلفيتين تمتازان بالقدرة الكبيرة، وتابع قائلا:«هذا الحصان سريع. اسرع حصان في العالم في ميدان السباق.»

مرر جيوف يده بين اذني المهر، كما علمه والكر وقال:«واو، انا حقا احب الخيول.»

«حقا؟ وماذا تحب ايضا ان تفعل؟ كرة المضرب؟»

تردد جيوف وقال:«لا.»

«اذا ماذا كرة السلة؟ ام كرة القدم؟»

عض الصبي على شفته، وهذا ما فعلته ستايسي وهي تراقبهما:«حسنا، انا اقرأ كثيرا. خاصة عن حياة المزارع.»

عندما رفع والكر عينيه الى ستايسي، كان هناك سؤال في عينيه، وشعرت بذلك الاحساس من خيبة الامل.

علق والكر:«القراءة جيدة، لكن الا تعلب في الخارج، بالكرة؟»

هز جيوف رأسه.

بدأ والكر بالقول:«ماذا عن...»

فساعدته ستايسي على الفور:«ألعاب الفيديو.»

اشرقت عينا الصبي وقال:«انا احب العاب الفيديو.»

بدا والكر فرحاً:«هذا رائع، هل تذهب الى النوادي حيث كل الاطفال يذهبون؟»

رمش جيوف بعينيه وقال:«لا، اقصد ذلك النوع من الالعاب التي تلعب بها بيديك، وأنا... اشاهد التلفزيون.»

هز والكر رأسه ببطء، نهض على قدميه، ونزع القش عن بنطاله. اخرج الولد من الحظيرة واغلق الباب وهو يقول:«اذن، تحب القراءة والعاب الفيديو ومشاهدة التلفزيون.»

كل تلك الاشياء التي تستطيع القيام بها بمفردك.

عرفت ستايسي ما الذي يفكر به والكر. انقبض قلبها. لقد حاولت ان تجعله يهتم بالالعاب الرياضية، وشجعته للعب مع غيره من الاطفال، لكن جيوف كان يتسلل مبتعداً. وهي لا تعرف تحليل نفسية الاطفال لتساعده.

منذ شهر او اكثر اقترحت عليها واحدة من صديقاتها انه ربما على جيوف ان يقابل اخصائية في التعامل مع الاطفال. والان ستايسي تفكر ان كان عليها اتخاذ ذلك الامر بجدية.

«امي، اريد الذهاب الى المرحاض.»

ابتسمت رغم قلقها وقالت:«حسنا، اسرع بالذهاب الى المنزل، كما وانه حان وقت النوم.»

www.elromancia.com

«آه، امي.» على مضض نهض جيوف وسار مبتعداً عن المخزن . تنفست ستايسي بعمق وواجهت والكر قائلة:«كنت قلقة بشأن عدم رغبة جيوف بالمشاركة في العاب الرياضة او اللعب مع الاخرين. اعترف بذلك. لكنه مازال يتعافى من صدمة موت والده. فتلك ضربة قوية. حتى ولو...» توقفت عن الكلام مرتعبة. كادت ان تقول: حتى ولو ان والده بارد العاطفة وغير مهتم لطفله. لكنها عملت جاهدة ان تتابع بهدوء:«لا اريد ان يضغط على جيوف.»

قال بصوت ناعم، رغم الحزن في عينيه:«هل كنت اضغط عليه؟»

«لا، ليس بالتحديد.»

«حسنا، اعلم كيف يشعر. فقدت والدي عندما كنت في السادسة من عمري. وامي توفيت وانا في الثانية عشر.»

انزعجت ستايسي، كيف يمكن لها ان تكون باردة الاحساس هكذا؟ وضعت يدها على ذراعه وقالت:«بالطبع تعلم. نسيت ذلك، اني آسفة.»

رفع كتفيه قائلا:«كان الامر صعبا جدا، لكنني تمكنت من الاستمرار.»

قالت ببطء:«صحيح، واعتقد انك فعلت ذلك بطريقة جيدة.» فهو قوي حتى ولو لا تعرفه جيدا. وبدا اثناء العشاء، وهو يدافع عن الخيول البرية، أنه يهتم للبيئة وللحياة الطبيعية. وهذا ما يجذبها اليه، هذا الاهتمام.

قالت وهي تبعد يدها عن ذراعه:«اثناء العشاء، تأثرت بوجهة نظرك، بشأن الخيول.»

رفع كتفيه، وتقدم عدة خطواتٍ ليمسك بلجام لم يكتمل وبدأ بلفه. رفع نظره قائلا:«انني على صواب، فيجب حماية الخيول البرية. منذ ثلاثين سنة اقل من عشرة الاف قد اخليت.»

شعرت ستايسي ان عينيها تتسعان:«هذا لا يدل على عدد قليل.»

برم شفتيه قائلا:«لا، اصحاب المزارع عبر الغرب ارادوا ان يحظوا بقوانين لجعل مزارعهم فقط للماشية، وقد استعملوا الطائرات لملاحقتها ودفعها للهرب الى المنحدرات الصخرية.»

شهقت ستايسي، لكن والكر تابع بتجهم:«البعض طاردهم بالنار كما وان هناك من سمم آبار المياه، والذي قتل كل من يشرب منها بطبيعة الامر.»

قالت بحزن:«لا فكرة لدي مطلقا.»

«معظم الناس لا تعرف. لكن لو ان الامر يتعلق بفيل او وحيد القرن، يمنك ان تتأكدي ان كل حماة البيئة في البلاد ستتدخل في الامر.» بدا صوته مليئا بالمرارة.

حفت ستايسي ذراعيها وقالت:«وما الذي سيحدث لها الآن؟»

نظر اليها بسخرية وعلق:«انت حقاً تريدين ان تعرفي؟ منذ عشرين عاما، اقدمت جمعية آني لحماية الخيول البرية، على منع اصطيادها، وتدجينها او قتلها.

وآخر تخمين قرأته ان هناك خمسين او ستين الف منها، مع ان عدداً كبيراً منها تم تبنيها وترويضها من قبل اشخاص مسؤولة.»

قالت ستايسي:«انا لا اعرف الكثير عن الخيول، لكنني رأيتها البارحة واعتقد انها رائعة الجمال.»

«صحيح، والحقيقة انها لا تدمر الطبيعة اكثر من الابقار. لكنت قلت ذلك لو ذلك صحيحا. فأنا صاحب ماشية، ايضا.»

ساد الصمت بينهما واخذت ستايسي تفكر في ما قاله. ارتجفت قليلا، فالطقس اصبح اكثر برودة، لكن لا رغبة لديها بالمغادرة. فوالكر ليس كاوبوي عادي، يمكنها ان ترى ذلك بوضوح.

كان يجلس على كومة من القش خارج الاسطبل، بعد لحظة تابع:«انها حيوانات فخورة وجميلة المنظر. اريد ان احميها، ومع ذلك احيانا اشعر ان عليّ ان اطارد تلك الحرية وان اروضها.» وضع جانبا اللجام:«لكنني اسيطر على ذلك الشعور. خيول كثيرة تم ترويضها من قبل اشخاص مثل جيمم. لكن ان فعلنا كذلك مع كل ذلك النوع، ستخسر جمالها وعنفوانها، وستخسر العالم شيئا غريبا جدا.»

ابتسمت ستايسي بتعجب وقالت:«انت فصيح جدا.»

ابعد نظره عنها، ثم احنى رأسه قليلاً، وكأنها احرجته. ويبدو ان الكاوبوي يستعمل قبعته لأكثر من عمل. بعد قليل نهض من مكانه وسار نحوها،

قال:«لم يقل احد من قبل انني فصيح الكلام.»

«حسنا، انت تعلم ما الذي اقصده.»

«انت تمدحينني؟» واقترب منها اكثر. وجدت انفاسها تضيق فجأة. فتراجعت لكن كتفيها ضربا بالباب الخشبي.

قالت له:«نعم، انه اطراء. اني متأكدة ان معظم الكاوبوي لا يشعرون بهذا التعاطف مثلك نحو الحياة البرية.»

ضحك بصوت عال وعلق:«هل تعرفين عدداً من الكاوبوي؟»

«لا. في الواقع واحد من بين الواحد.» حتى هي ضحكت بصوت عال. وعندما توقفا عن الضحك معا، وضع والكر راحة يده على حاجب الباب بجانب رأسها، قال بصوت كالهمس:«الحقيقة انني اشعر بالتعاطف نحو اشياء اخرى، ايضا.»

اتسعت عينا ستايسي:«حقا؟ امر مثير للاهتمام.»

اقترب والكر مانعا عنها الرؤية، فازدادت قلقا. عليها ان ترحل من هنا، تذهب الى المنزل، والى غرفتها. لكن بطريقة ما نظرة والكر الثاقبة سمرتها في مكانها.

بالكاد تعرف هذا الرجل، والذي تعرفه هو اهتمامه بالخيول البرية، وهذا ليس مطمئنا. معظم الاحيان يعاملها بقسوة، واطباعه قاسية. لكن الليلة بدا لطيفا جدا، وأجاب على اسئلة ابنها بصبر واضح، وتحدث معها كمساوية له. ساعدها كي تعرف اشياء جديدة.

لقد كان محترماً الليلة. ووجدت دفاعاتها تضعف. لذلك عليها ان تتحرك.

سألها بذات الصوت الهامس:«لماذا اتيت الى هنا الليلة، ستايسي؟»

«لرؤية المهر.»

«آه، هذا كل شيء؟»

«بالطبع. ولأي سبب آخر؟»

«اجل. لأي سبب؟»

ساد الصمت في المخزن، فلا اثر لأي حركة. هناك فقط والكر وهو يكاد ان يعانقها.

ابتعدت عنه، باحثة عن موضع آمن:«بشأن جيوف، افكر في استشارة اخصائية للاطفال. ربما نحن معاً بحاجة لذلك. وعندما نعود الى...»

علق والكر بسخرية:«هل حل لأهل المدن، وهذا ما تفعله امرأة مثلك تعيش في المدينة، تدع احداً غيرها يهتم بمشاكلها. لا يحتاج الطفل لأي شخص كي يعبث في افكاره. انه يريد فقط الاهتمام به.»

واجهته وقد عقدت يديها فوق صدرها، وكأنها لسعت. لو انه رمى بدلو من الماء المثلج فوقها، لما كان اثر غضبها اكثر من ذلك. ومن خلال تبادل بعض الكلمات معه جعلها تشعر بأنها حمقاء، وام غير صالحة ايضاً.

قالت بغضب:«الاهتمام؟ حسناً، لن يكون بالطبع منك.»

«لا، ليس مني. فأنا لست اباً بالوكالة.»

رفعت ذقنها وقالت:«حسناً، نحن نفهم بعضنا جيداً.

عمت مساءً.» وسارت بغضب نحو الباب. خرجت وصفقت الباب بقوة، لكنها لم تشعر بأنها افضل.

شتم والكر نفسه لأنه احمق. في اللحظة التي رفعت ستايسي ذقنها بكبرياء، علم انه اهان امومتها. ما كان عليه مطلقاً ان يقول:اباً بالوكالة.

وضع اللجام في مكانه، واستدار ليطفيء الانوار ويغلق المخزن. حسناً، لم يتعلم مطلقاً كيف يتعامل مع النساء. فبعض الرجال لديهم طرق خاصة معهن. فهم يعلمون ماذا يقولون ومتى، لكن لا فكرة لديه مطلقاً بهذا الامر. وقبل الان، لم يكن ليهتم. فهو رجل ساخر، يتعامل مع الحياة بقسوة. وهو يعلم ذلك.

مرّ خلال الزريبة الخارجية التي توصل الى المنزل، وبالكاد شعر بالهواء البارد الذي يضرب بقميصه. فهو قوي ونشأته هنا يعمل كرجل منذ ان كان في الثالثة عشر من عمره ليس بالامر السهل، لكنه فعل ذلك. وتحت يدين جيم القاسيتين. ويعتقد ان تلك اليدين قد شكلت شخصيته واكثر بكثير مما يعتقد.

توقف امام الباب الخارجي، ونظر الى ظلال وجهه في حوض الماء. وجهه المتجهم كالعادة، وحتى في الليل يستطيع ان يرى ذلك الكسر في انفه.

لا، لم يخطيء. النساء الجميلات مثل ستايسي لا ينظرن إليه مطلقاً، لذلك لماذا ستفعل هي؟ انه يضحك على نفسه. النتيجة مرة ولكن منطقية، وهو يعلم ان عليه تقبل الحقيقة.

في الداخل، تفاجأت ستايسي عندما وجدت ان كل الضيوف قد غادروا الى غرفهم، لا بد انهم متعبين من امضاء النهار في البرية. وما ان توقفت في غرفة الجلوس امام النار الملتهبة، حتى دخل جيم من المطبخ ورأها.

«مرحبا ابنتي، ما الامر؟» وضع يده الكبيرة على كتفها ونظر الى عينيها.

«لا شيء، لا شيء جيم. فقط انا ووالكر.»

«والكر، ذلك الشاب ازعجك؟»

«جيم، انا لست منزعجة. لكنه يشعر انني اريد ان آخذ مكانه هنا، بطريقة ما.»

«هذا جنون. لو انك تريدين هذا المكان، لكنت حاولت ذلك منذ وقت بعيد. تبا له على ازعاجك. سأعمل على تأديبه.»

دخل والكر، وسار مباشرة نحو جيم قال بتوتر:«مرحب بك كثيرا كي تحاول.»

دار جيم مبتعداً عن ابن زوجته ومتجاهلاً ما سمعه، قال:«ما الذي تفكر فيه، كي تتجادل مع ستايسي ولم يمض على وجودها يومين فقط؟»

وقفت ستايسي بينهما وقالت:«جيم، انا ايضاً لم اكن لطيفة معه. لم تكن تلك غلطته.»

وضع يديه الكبيرتين على وركيه، وحدق بهما معاً. قال بصوت كالرعد:«والآن هل تقولان لي انكما غير متفاهمين؟ ليس من الصواب تختلفا. فانتما تقريبا كالاخ واخته.»

لم تكن ستايسي معتادة على ان يوبخها احد، فشعرت بالذنب. لأنها لم تفكر مطلقا علاقة القربى بينها وبين والكر، لكنها كانت متزوجة، من اخيه وهما ترعرعا معا.

لم يعلق والكر مطلقاً ففكرت ان كان يشعر بذات السوء مثلها.

تابع جيم:«كما وان، لن اسمح لك ان تبعد ستايسي كما فعلت بدنيس منذ اثنتي عشرة عاما.»

شحب وجه والكر. فشعرت ستايسي بصدمته، محاولة ان تسيطر على نفسها. فدنيس لم يتحدث مطلقا عن ابعاده عن مزرعة عائلته. المرة الوحيدة التي ذكر فيها المزرعة قال انه يكره تلك الحياة هناك ولا يفكر بالعودة مطلقا.

شتم والكر واستدار خارجاً. راقبته ستايسي متفاجئة من شدة العداوة بين الرجلين. استدارت لتنظر الى جيم.

قال جيم بصوت متعب:«كنت اريد الانتظار لفترة اطول، لأعطيك الوقت كي تعجبي بالمكان. لكن ارى الان ان الوقت مناسب. من الأفضل ان نتحدث.» مد يده مشيراً نحو الباب المواجه الذي يقود الى مكتبه.

ازداد استغرابها، وسارت معه الى الغرفة. عندما جلس جيم وراء مكتبه الكبير، جلست على حافة كرسي صغير. يداها باردتان لذلك ضمتهما الى بعضهما. بطريقة ما شعرت وكأنها تلميذة ارسلت

الى الإدارة من اجل عقاب ما. امر في منتهى السخف. فهي امرأة بالغة، وأم ايضا.
حرك جيم كرسيه نحو خزانة مليئة بالملفات وسحب بعض الاوراق، وضعها امامها. باحساس غريب رفعت ستايسي الورقة الاولى وقرأتها، ثم نظرت الى الثانية والثالثة، وعندما انتهت، تراجعت على كرسيها وحدقت بجيم مفتوحة الفم، قالت بصوت كالصرير:«هذه وصيتك.»
قال مصححا:«ائتمان مدى الحياة، بالتحديد. وكما ترين، عندما اموت. حصتي، خمسين بالمئة من هذه المزرعة، سيرثها ابنك، جيوف. وانت ستكونين المنفذة على الوصية.»

الفصل الرابع

وضعت اصابعها على رقبتها وقالت وهي تشهق:«انت ستترك كل هذا الى جيوف؟»
«ولك ايضا. اذا توفيت قبل ان يصبح جيوف في الواحدة والعشرين من عمره، ستديرين انت العمل. انت ووالكر.»
قالت ستايسي بصوت ضعيف:«آه، صحيح. والكر. وما رأيه بالموضوع؟»
طريقة رفع جيم لكتفيه، جعلتها تنظر اليه بفضول وتقول:«هو لا يعلم، اليس كذلك؟»
قال بلا اهتمام:«لا ارى اي سبب يدفعني كي اقول له، فما الفرق؟ أنا استطيع ان افعل كل ما اريده بحصتي.» انحنى عبر المكتب وقد تبدل مزاجه فجأة، ابتسم وهو يتابع:«في الوقت الراهن، اريد ان اعيش لفترة اطول. وحتى أموت، اريدك انت والصبي ان تعيشا هنا.»
«لكن ما الذي سيقوله والكر عندما يعلم بالامر؟»
«هل يمكنك التوقف عن القلق بشأنه؟» جمع جيم الاوراق وأعادها الى الملف. «انت والصبي ستنتقلان للعيش هنا بصورة دائمة. يمكنك العودة الى البلدة وإحضار ما تريدينه. سيحظى جيوف بحياة سعيدة هنا في المزرعة. وعندما يصبح اكبر، سأدفع نفقات الجامعة التي يريد الدخول اليها.»

www.elromancia.com

ردت ستايسي:«نعم، جيم.» لكن عقلها كان يضج بالاحتمالات. هي قلقة بشأن ردة فعل والكر، لكنها سعيدة جدا بسبب تبدل الاحداث. سيملك جيوف ملكية خاصة به! وسيحظى ابنها بمستقبل ناجح. سيعيش في هذا المكان والذي يبدو انه يحبه وسيحظى بتعليم وهذا امر لم تكن تأمل بتأمينه له، وسيصبح لديها منزل دائم وجذور. اندهشت عندما سمعت جيم يندفع في القول:«عملت لمدة عشرين عام لأبني لنفسي سمعة طيبة في هذه الجبال. وقد ساعدت كل جيراني، ووافقت على ان يستعمل الهنود المياه، وخدمت في كل اللجان المحلية. وأنا فخور بكل ما فعلته، ابنتي. لذلك لا تحدثيني عن والكر.»

«جيم. انا لا اعلم ماذا سأقول. أنا شاكرة لك.»

انشغل جيم بالملفات الاخرى، قال وهو يحرك يده بلا اهتمام:«لا تذكري الامر. كل الذي اريده، هو ان يبقى حفيدي بقربي، هذا كل شيء. واعتقد انه لا بأس بك، ايضا، كسيدة.»

ابتسمت ستايسي، نهضت وسارت وراء المكتب لتطبع قبلة كبيرة على خد الرجل المتفاجيء «انتِ تمشي وتتحدث كسيد قاسي، لكنك لست قاسيا جدا، في النهاية.»

دفعها بعيدا وقال:«والان، اذهبي، لدي اعمال عليّ القيام بها.»

«حسنا جيم.» وخرجت من المكتب. لا تريد ان تفكر برد فعل والكر. ربما لن ينزعج بشدة.

كان هو الشخص الاول الذي ضربت به. امسك بها من كوعيها قبل ان تتعثر أكثر:«ما الذي يسعدك هكذا؟» على الفور اختفت ابتسامتها. تراجعت الى الوراء ونظرت بذنبٍ نحو مكتب جيم. تبعها والكر بنظره وقال:«حسنا؟»

«ربما من الافضل ان تتحدث مع جيم.» تجنبت ستايسي ان تخبره بنفسها عن الاخبار الجديدة. اعترفت أنها جبانة قليلا. «في الواقع، هو في المكتب الان؟»

«لمَ لا تخبريني انت ما الامر؟»

ازداد احساسها بالرغبة في الهروب:«عليّ التأكد ان جيوف بخير، كما وانني متعبة جدا. اريد الذهاب الى النوم.»

«بل ستفعلين.» امسك رسغها بيده وتابع:«اريد ان اعرف الان، ما الذي يجري؟»

لم يكن يسبب لها اي ألم، لكن كان يمسك برسغها الرقيق بكل حزم. حاولت ان تتملص منه:«انها... تتعلق بخطة وضعها جيم. هذا كل شيء وهو يستطيع ان يشرحها لك افضل مني.»

«الان، ستايسي.»

«انها وصيته.» توقفت عن المحاولة للتخلص من قبضته وتابعت:«وهو سيترك حصته في المزرعة لجيوف.»

لمعت عيناه بشدة. وبرم شفتيه بسخرية، ترك يدها وهو يقول:«لا عجب انك سعيدة هكذا.. ما هذه

المفاجأة. اعتقد لقد حصلت على ما اتيت لأجله؟ اكتفيت الان؟»

«لا، لا، قلت لك انني لم...» ضعف صوتها. من الواضح ان والكر لن يصدقها، ولا شيء يمكن ان تقوله قد يبدل رأيه. قالت:«اسمع، اعلم ان هذه الارض هي لأمك قبل ان تتزوج جيم، وانا احترم ذلك. فأنت تشعر بالانتماء اليها. لكن من الواضح ان جيم قد عمل من اجل حصته.» وعندما لم يقاطعها، تابعت:«وانا لا اريد ان اسرق اي شيء منك، والكر. لكن يمكن ان اساعد هنا. ممكن ان اقوم ببعض الاقتراحات لجعل المكان اكثر تأهيلا. هذه فكرة.» اقتربت منه بحماسة ولمست كمه وهي تتابع:«لاحظت وانا في مكتب جيم ان المكتب غير منظم، ربما استطيع تحسين...»

قال والكر بغضب:«اخشى القول انني غير معجب بما تقولينه.»

«ماذا؟»

اومأ برأسه وقال:«كلماتك، تحسين، تبديل، افكار جديدة.» جال بنظره عليها من رأسها حتى قدميها وتابع:«ما الذي تعرفينه عن مزرعة الماشية؟ وما الذي تعرفينه عن إدارة مكان للضيوف؟»

«ليس الكثير، لكن استطيع ان اتعلم.»

«بل ستعقدين العمل، ستكونين مصدر ازعاج، تتدخلين حيث لا يمكن ان يحتاجك او يريدك احد. وربما قد تريدين إعادة ترتيب وتزيين المزرعة.» حرك

رأسه وكأنها اقدمت على تمزيق الستائر القديمة. وضع يديه على وركيه، توقف عن الكلام للحظة قبل ان يتابع باستهزاء:«من يحتاجك هنا؟»

ابتلعت غصة بصعوبة، وواجهته بصمت. تكره تصرفاته العدائية، وتكره انتقاداته التي تدل على التعصب ضد المرأة. ارادت ان تصرخ به انه مخطىء. لكنها لا تستطيع ان تفعل فالغصة تكاد تخنقها. والدموع ستظهرها ضعيفة امام والكر. فهي لن تبكي.

وقف والكر امامها والغضب يجتاحه، وفي ذات الوقت شعر باحساس قوي من الإثارة. كالعادة، كلما يقف قربها يشعر بذلك الانجذاب القوي. فستايسي الجميلة والرائعة ستصبح جزء من حياته منذ الآن بطريقة ما او بأخرى. تضارب العواطف في داخله ضاعف غضبه. لا يريد ان يشعر هكذا. بل يريد ان يكرهها.

شتم بصوت جعلها تتسع عيناها من الانزعاج. لا يحق لها ان تبدو هكذا. فهذه مزرعته، وليست الى تلك المرأة الماكرة.

سار إمامها نحو غرفته واغلق بابه. كان الظلام شديدا، جلس على حافة سريره، ونزع حذاءه. رمى بقبعته نحو الباب، وكالعادة فشل في ان تصل الى مكانها الصحيح.

شتم والكر مرة ثانية. لم يفكر للحظة بالتحدث مع جيم. لقد اتخذ الرجل العجوز قراره وسيبقى عليه.

وطوال الفترة التي عرفه بها والكر، لم يغير رأيه مرة. لكنه اعطى والكر انطباعاً ان المزرعة ستعود اليه وحده. وقد افترض دائما، انه عندما يحين الوقت، بارام ستصبح له، ليدير شؤونها كما يشاء تماما.
لكن الان جيم يحظى بحفيد، وهذا يعني مالك جديد والذي سيعقد حياة والكر الى الابد.
انه رجل مقاتل، ولا يعرف مطلقا معنى كلمة انهزام وهو مصمم على الاستمرار بالمطالبة بأرضه، لكن الان الاحساس بالهزيمة يسيطر عليه.
جلس واضعا كوعيه على ركبتيه، ينظر الى قبعته.. انه وحيد، وهذا ما كان عليه دائما، وربما سيبقى كذلك. لن ترضى به اي امرأة، ليس بما هو عليه. من تريده؟ وهو كاوبوي وحيد، يقاتل على الشيء الوحيد الذي يهمه في العالم. ارضه.
نهض بتعب وسار نحو خزانة من الادراج يضع فيها ثيابه وفتح الدرج الاخير. لمس مغلفا قديما. امسك به، وأنار الضوء الصغير على رأس الخزانة.
حدق بالمغلف للحظ وهو يفكر. ثم ببطء سحب صورة منه. صورة قديمة منذ اربعة وعشرين عاما. صورة جيم وهو اصغر سنا يعمل. لكن العمل الذي يقوم به غير شرعي.
انه سر مخجل اخفاه جيم. لكن والكر يعلمه. لديه هذه الصورة، وذكرياته في يوم ما، اقسم والكر، قد يظهر هذا الدليل الى العالم اجمع، وهكذا سيحصل على ما يريده. نعم في يوم ما سيفعل ذلك. على

مضض اعاد الصورة الى المغلف وأخفى المغلف تحت الثياب.

* * *

تصبح الساعة الخامسة بسرعة قصوى في المزرعة، هذا ما فكرت به ستايسي وهي تستيقظ بسبب قفز جيوف على سريرها. لأنها لم تستيقظ مطلقا قبل الساعة السابعة في حياتها لتستعد للذهاب الى عملها عند الساعة التاسعة.
من النادر ان يبدأ العمل في المدينة مع الفجر. نظرت اليه من تحت الغطاء وقالت:«جيوف، ليست فكرتي في الاستيقاظ باكرا كل صباح.»
ابتسم ابنها وقال:«آه، امي، هيا، لقد اصبحت الساعة الخامسة! يمكننا ان نذهب لنعد الخيول.»
قالت باستياء:«كل صباح هذا الاسبوع تقفز على سريري، وكل صباح اقول لك لا اريد المساعدة في اعداد الخيول. صدقني، جيوف، متى ستتعلم؟»
«لكنني اريد الذهاب، امي.»
«اذن اذهب.»
«شكرا.» اسرع بالخروج قبل ان يتمكن من انهاء كلمته. وعلى الرغم من نعاسها، ابتسمت. في هذا الاسبوع الذي امضياه في المزرعة اصبح جيوف اسمر اللون، وهذا امر مشجع بحد ذاته، بعد الشحوب الذي لازمه طوال السنة الماضية. وهو متحمس للاستيقاظ كل يوم، سعيدا بالعمل

مع الحيوانات ومع اي راعٍ ماشية يكون بقربه، وللسخرية القدر كان دائما والكر.
جلست ستايسي في سريرها وابعدت شعرها عن عينيها. ومن حسن الحظ ان والكر يعاملها بكل برودة وسخرية، لكن لا تمتد تصرفاته السلبية نحو الصبي. على الاقل انه ناضج بما فيه الكفاية كي لا يجعل ولد لا يتجاوز العاشرة من عمره يدفع ثمن اخطاء البالغين.
وعلى العكس، فأينما تنظر الى جيوف تراه يتبع خطوات والكر، وعلى ما يبدو فهما متفقان جدا. في احدى المرات رأت والكر يشرح لابنها كيف يعقد حزام الحصان. وفي يوم آخر رأت والتر يقدم لجيوف زوجا من قطع الجلد التي تربط فوق الجينز وقد صممت لتناسب جسمه الصغير.
سأل جيوف بفرح:«لي؟» وعندما هز رأسه راعي الماشية موافقا، رقص الولد فرحا. غير ان والكر لم يعط الامر اهمية كبرى. مع ان والكر كان يأخذ الضيوف كل يوم في نزهة لكي يروا الخيول البرية مرة ثانية، لكن بقيت الخيول بعيدة عن الانظار.
عندما عاد الجميع في وقت متأخر من بعد الظهر، نزل جيوف عن حصانه بسرعة، وركض نحو امه. كانت جالسة تستمتع بحرارة الشمس، حيث تنتظر جيوف، قال لها، مقطوع الانفاس:«امي، اخيرا رأيتها. لقد انتقلت الى مرعى جديد اعلى من المكان السابق، قال والكر لتحصل على

عشب افضل طالما الصيف قد انقضى نصفه.»
اجابت وهي تبتسم:«هذا رائع، عزيزي.» دخل الضيوف، ثم تبعهم والكر، وكالعادة ملامح وجهه مخبأة تحت القبعة، لكنه نظر اليها تلك النظرة القاسية، وكأنه يقول انه منتبه لما تفعله.
اقترب منها بوتر وقال:«جيوف اول من رآها. ولأنه هو من وجدها لنا، راعي الماشية سمح له ان يطلق اسما على ذلك المهر الكبير.»
ضرب جيوف على صدره، وقد انتفخ من الشعور بالزهو:«صحيح.»
نظرت ستايسي الى والكر الذي كان منشغلاً بربط الخيول الى سياج الزريبة. فتجاهلها.
استدارت محدثة جيوف:«حسنا؟ لا تتركني حائرة. ما الاسم الذي اطلقته عليه؟»
وضع الصبي يديه في جيبي بنطاله وحدق بها مفكرا، فكادت ان تبتسم. بدأ جيوف:«لقد رأيته وهو يقف عند اعلى الصدع، لكن ظهره كان لجهة الغرب. وكانت الشمس تغرب في الافق، فبدا وكأنه يلمع كألسنة النار. وانت تعلمين ان جلده احمر جميل، لذلك قررت ان ادعوه ريدج فاير. هل اعجبك؟»
مدّت يدها وعبثت بشعره:«نعم، بني، انه اسم جميل حقا.»
هز رأسه موافقاً:«هذا ما قاله والكر. وقال ان الاسم سيناسبه.»
ومن دون ان ينظر اليهما، هز رأسه والكر، رأت

ستايسي ذلك مع انه يريد ان يتجاهلها، كان يصغي الى كل كلمة. قالت لابنها:«هل شكرت والكر على ذلك الشرف؟»
اقترب جيوف منه في خطى سريعة وقال:«شكراً، وايلد هورس والكر.»
لاحظت ستايسي انه لم يستطع ان يخفي ابتسامته، مرر يده على شعر الصبي، تماما كما فعلت هي وقال:«لا داع للشكر.»
عاد الى امه وضغط على خصرها بقوة وعلق:«امي، هذا المكان رائع! اتمنى لو اننا نستطيع العيش هنا الى الابد!»
تفاجأت ولم تعلق، بل ضمت ابنها اليها. تعمدت ان لا تخبر ابنها اي شيء عن وصية جيم. فهي لا تريده ان يشعر بالحماسة في حال تبدّل شيء ما. ربما لم يقصد جيم ان يقول أن الوصية مرتبطة بالانتقال هي وابنها الى هنا. لكن هذه هي الحقيقة.
اسرع جيوف الى المنزل ليحضر الى حصانه تفاحة.
تمهلت ستايسي في الزريبة حتى اصبحت مع والكر بمفردهما. كان الهواء لا يزال دافئا، والظلام ارخى سدوله بسرعة بعد غياب الشمس وراء الجبال، قالت:«اعلم انك غير معجب بي، لكن اريدك ان تعلم انني ممتنة لك بشأن تعاملك مع جيوف. هذا عمل جيد من قبلك، ان تسمح له ان يشعر بالاهمية من نفسه لاطلاق اسم على ذلك الحصان.»
لاول مرة سمح لعينيه ان تلتقيا بعينيها:«لم افعل

اي شيء لجيوف ما كنت لافعله لأي صبي سيأتي الى المزرعة.»
اومأت ستايسي رأسها بحزن، فعاد والكر الى عمله. لكنها تساءلت ان كان ما قاله صحيح. بطريقة ما لم تشعر انه غير متأثر بهما هي وابنها كما يحاول الادعاء.

* * *

«وكما ترى، لدي قلق عما سيحدث.» جلست ستايسي على ذات الكرسي في مكتب جيم بعد مرور يومين. كانت قلقة، ففي الايام الماضية، كل ما تفكر فيه هو ما الذي ستفعله. هي تريد سعادة ابنها، وتريده ان يحصل على كل ما يستحقه، لكن عليها ان تفكر بنفسها، ومهما بدت انانية بذلك.
تراجع جيم على كرسيه الى الوراء وعقد حاجبيه الكثيفين:«ما المشكلة؟»
«الا تعلم، جيم؟ انت تطلب مني ان اتخلى عن كل من اعرفهم. ان اترك منزلي الذي امضيت فيه عشر سنوات. سيصعب عليّ الابتعاد عن اصدقائي. اشخاص انا ودنيس كنا نلقاهم دائما، نلعب التنس معهم. ماذا عن الاماكن التي كنت اتسوق منها؟ اصفف شعري فيها؟ اصلح سيارتي؟ المرء يعتاد على الذهاب الى ذات الامكنة، كما تعلم.»
التقت عيناها بنظرته فعلمت انها تبدو سخيفة. ستجد امكنة جديدة لتفعل ذلك كل تلك الامور هنا

في الجبال. لكن عواطفها ليست منطقية بالطبع.
بالكاد نظر اليها.
قالت بعناد:«حتى امي تعيش في لوس انجلس.»
حرك يده بلا مبالاة، وقال:«احضري امك الى هنا، ستحب الحياة في المزرعة.»
هزت ستايسي رأسها بندم وقالت:«لا، فلقد تزوجت من جديد من رجل لطيف وانا احبه كثيرا، لكنهما من الاشخاص الذين يحبون العيش في المدينة. وكما تعلم، جيم، قد يكون الامر صعبا على جيوف فعليه ان يبدل مدرسته، وان يصبح لديه اصدقاء جدد.»
«سيحب الولد العيش هنا، وكذلك انت. فقط اعطي الامر الوقت الكافي، وفي غضون سنتين، لن تصدقي انك كنت تعشين في المدينة. لا تقلقي بشأن ذلك.»
لم تستطع الا ان تفتح عينيها غير مصدقة. فهو يجعل كل شيء يبدو سهلا. لكنها تعلم ان الامور ليس كذلك. فهناك عوائق كثيرة هنا. ووالكر من اهمها. كان واضحا انه لا يريدها هنا. تنهدت وهي تعلم ان عليها ان تفكر بالامر اكثر.
عند العشاء، لم يتحدث والكر معها. وعندما ذهبت للنوم، وتمددت تحت الغطاء، تفكر ما هو نوع الرجل الذي تريده في حياتها الان. فوالكر عدائي، قاسٍ وهو يناقض كل ما ترغب به.
هي تريد رجلا ذو طبع هادىء. سعيد في حياته ويسعد ان يشارك الحياة معها. رجل يخبرها كل

يوم انه يحبها، ويقدم لها هدايا رومانسية، ربما قارورة عطر او زهور. شخص يحب ان يلمسها ويداعب خدها ويحدق بحب في عينيها.
استدارت على سريرها ورتبت وسادتها. انها منجذبة نحو رجل طويل اسمر البشرة، يمشي بثقة وبرشاقة. وان صادف وارتدى قبعة تغطي نصف عينيه، فهي لن تمانع. تفاجأت من نفسها، وحبست انفاسها. فصورة والكر تتراءى امام عينيها. لم لا تستطيع اخراج هذا الرجل من افكارها؟ مع انها لا تثق به كثيرا وهي متأكدة انه سيحاول اقناع جيم ان يبدل وصيته. اما من الناحية العاطفية، فهي ايضا لا تثق به. فهو قد يحطم قلب المرأة بدون أي احساس بالذنب او بالشفقة.
انه وسيم بما فيه الكفاية، كما هناك جاذبية لا تقاوم فيه رغم كبرياءه. وهي لا تشك مطلقا ان النساء تنجذب اليه بقوة. لكنها لا تستطيع ان تقترب منه.
في اليوم العاشر قررت ستايسي ان تقوم بعمل مفيد. عرضت المساعدة على جيم في المكتب، لكنه رفض بصراحة. وعندما قررت مساعدة العاملين في المنزل في تنظيف الغرف او تبديل اغطية الأسرة، جميعهم قالوا شكرا ولا. شعرت بالانزعاج وتجولت حول الزريبة في الوقت الذي وصلت فيه شاحنة. صافح والكر السائق، وساروا معا نحو الاسطبل، وكالعادة، بقي جيوف متتبعا لخطوات والكر.
جلست ستايسي على آخر درجة للشرفة، تراقب.

فهي لا تستطيع الا سماع بعض ما كانا يقولانه.
سمعت والكر يقول للسائق:«حسنا، دان، عد بعد عدة ايام، وسنرى ما يمكننا القيام به.»
قفز الشاب الى شاحنة واغلق الباب وهو يقول:«حظاً سعيداً.»
قال والكر لجيوف ليجلس على سطح السياج و ينتظره ثم قاد الحصان الى الزريبة الامامية ليضع السرج على ظهره. وفي اللحظة التي شدّ حزام اللجام حتى قفز الحصان. ورفع قائمتيه الاماميتين في الهواء، ثم تراجع الى الوراء وسقط على الارض. ابتعد و الكر بسرعة من امامه.
شهقت ستايسي، ونهضت على الفور. اسرعت الى جيوف ووقفت حيث يجلس، واضعة يديها على السياج. استلقى الحصان على الارض، ولم يبد اي محاولة كي ينهض. هزّ والكر رأسه وكأنه يتوقع مثل هذا التصرف.
قال لجيوف:«انها عادة سيئة، لا احد يستطيع امتطاء حصان مثل هذا. نحن نسميهم رافضوا اللجام. وقال لي دان ان هذا الحصان لن ينهض على قوائمه الا إذا نزع اللجام.» ولكي يبرهن ذلك، نخع الحصان الرمادي بحذائه. لكن الحصان لم يظهر اي رد فعل. استدار والكر، لمس قبعته وقال لستايسي:«مساء سعيد.» فتفاجأت من تصرفه.
اجابت:«مساء سعيد.»
«المقاومة بعناد شيء آخر، يمكننا ان نخلص

الحصان من المقاومة اذا رأينا الامر ضروري. ثم يمكن تدريبه ليتمكن اي كان من امتطائه بسهولة. هذا أمر مختلف جدا.»
ردد جيوف بحماس:«رافض للحزام، ما الذي ستفعله؟»
احنى والكر رأسه وقال:«سنحاول امراً آخر، لنرى ان كنا نستطيع اقناعه ليتصرف بوداعة. هذا ليس حصانا سيئا، لكنه ذكي اكثر من غيره لاجل مصلحته الخاصة. انه يفكر بطريقة ليتخلص من العمل.» ابتسم فجأة قبل ان يتابع:«شيء لم افهمه بعد.»
ضحك جيوف ورمشت ستايسي. تبدل مزاج والكر بسرعة البرق يقلقها. هذه المرة لن تثق به، وستبقى على حذر منه.
سأل جيوف:«هل استطيع مساعدتك، والكر؟ اريد ان اتعلم كيف يتم تدريب الحصان.»
«ستتعلم بالمراقبة هذه المرة. اريد منكما ان تبقيا حيث انتما بأمان.» بقي بعيداً عن حوافر الحصان، وفك الحزام. قفز الحصان بسرعة على قوائمه. ابقى والكر يده بثبات على الرسن، وهو يتابع:«انها طريقة خطرة لتعليم حسن التصرف لدى الحصان، بدلا من السقوط هكذا. قد يؤذي الراكب بطريقة خطرة، او حتى قد يقتل احدا. وعملنا هو ان نعلمه كيف يهدأ.»
بحذر ربط الحصان الى احد الاعمدة، اعاد السرج

الى غرفة الاغراض وعاد حاملاً شريطاً من الجلد، مثبت بمسكة يد في آخره. قال:«هذا يسمى سير السرج او الحزام. وعادة يستعملن لامتطاء الثور، لكن اليوم سندع غراي بيرد يستعمله.»

سألت ستايسي:«هل ستمتطي هذا الحصان؟» شعرت بالرعب وهي تتخيل والكر محطماً تحت ذلك الحصان الكبير.

«لا. هو غير حاضر للامتطاء بعد. عليّ ان اعلمه الاخلاق الحميدة اولا.» في اليد الاخرى كان يحمل شريطاً من النايلون. نزع رباط الحزام وترك الحبل ممدوداً الى الارض، وبسرعة وضع سير الحزام على مؤخرة الحصان. وكالسابق، انتفض الحصان بقوة، قفز وسقط على الارض وسط الاوساخ.

هذه المرة تقدم والكر، وأحاط قوائم الحصان بشريط النايلون حتى جمع قوائمه معا. وقف متراجعا وقد ظهر الرضى على وجهه:«والان، ايها العنيد الشرس. سنرى كيف ستتعامل مع هذا.»

سألت ستايسي:«والان ماذا؟» تمرين هذا الحصان امر مذهل. والآن والكر تغير، اصبح اكثر تجاوبا، وراغبا في مشاركة افكاره، وجدت ستايسي نفسها غير قادرة الا على الانجذاب له. فصعدت لتجلس قرب جيوف.

«لنتركه يفكر في وضعه هكذا لمدة ساعة او اكثر.»

مرت ساعة بالفعل، حيث عمد والكر الى تمرير قطع الجلد التي يرتديها على جسد الحصان من الرأس

حتى الذيل مرات عدة. حاول غراي بيرد ان ينهض لكنه لم يستطع. كما ان والكر عمد على اطلاق هتاف الحرب لدى الهنود في اذن الحصان لأكثر من مرة. كذلك حاول غراي بيرد النهوض، لكنه لم يستطع ان يخلص نفسه.

ابتسم والكر الى ستايسي وابنها وفجأة لمع بفكر ستايسي، ان والكر لا يتصل مع الناس، لكنه مع الخيول هو في افضل حال. فهو يعلم كيف تفكر، وكيف ستتصرف، حتى قبل ان تفعل.

لو انه فقط يستطيع ان يتعلم كيف يكون سعيداً قرب الناس. حدقت ستايسي به وهي تفكر بقوة. لقد نشأ مع دنيس وجيم، وكلاهما من قساة القلوب وبادري الاحساس. لم يشعر والكر مرة بالحنان منذ وفاة والدته. ولم يساعده احد على ايجاد الرقة في داخله. لكنها متأكدة انها رأت لطفه في التعامل مع الخيول. ومع جيوف.

حاول الحصان النهوض، حتى عندما لا يضايقه والكر، لكنه لم يستطع.

سأل جيوف:«كم ستتركه مستلق هكذا؟»

عمد والكر على حف رأسه وقال:«حسنا، لا اعرف بالتحديد، ما رأيك؟»

عبس جيوف وقلب شفتيه ثم قال:«اعتقد انه اصبح جاهزا.»

«اذا كان هذا رأيك.» انحنى والكر، ونزع الرباط عن قوائم الحصان، وعندما نهض، لحس شفتيه. علق

والكر:«اشارة اكيدة انه جاهز للتعاون.»
سمح الحيوان له ان يقوده عبر الزريبة، ثم بوضع السرج عليه. وعندما شد الحزام، اصدر صوتا، لكنه لم يرفع قوائمه عن الارض، ولا حتى لأنش واحد.
بحذر امتطى والكر الحصان، ثم سار به عبر الزريبة في دوائر. اعلن اخيرا:«تمت السيطرة على هذا الحصان، ولا اعتقد انه سيحاول القيام بحيلته القديمة بعد الان.»
لمس الحصان برأسه ذراع والكر، شم اذنه ورفع شفتيه وكأنه يريد تقبيل الرجل.
شهقت ستايسي. هذا جنون، فهي تعلم ان الخيول لا تقبل! لكن التبديل في هذا الحيوان مذهل. بدون شك يملك والكر لمسة سحرية.
ابتسمت لنفسها، محاولة ان تعلم كيف ستعلم والكر كي يجد اللطف في نفسه. انه ليس بسيء، فقط قاسي، وكل من يراه يعلم ذلك.
لكن ان كانت ذكية، فقد تجعله يضحك، ويستمتع بالحياة اكثر، بحيث يصبح من السهل التعامل معه، ومن دون ان يعلم ان هذا ما يحدث له.
نزع والكر السرج، وحف ظهر الحصان قبل ان يعيده الى الاصطبل بجوار الخيول الاخرى. قفز جيوف عن السياج، مسرعا نحو المخزن للعب مع الماعز وسار والكر نحو ستايسي، تنفس براحة قبل ان يتكىء على السياج.

ابتسمت له بنعومة وقالت:«عمل جيد، والكر.»
تمتم:«شكرا.» اعجابها يشعره بأنه بخير، بل بألف خير.
«تعاملت بمهارة فائقة مع غراي بيرد، لكنك لم تكن مطلقا شرسا معه.»
«لا، الشراسة غير ضرورية في تعاملك مع الخيل، عليك فقط ان تفهمي كيف تفكر.»
قالت بحزم:«وانت تعرف ذلك.»
«على ما اعتقد.» نظر اليها من تحت قبعته ووجدها لا تزال تبتسم، عيناها مليئتان بالاعجاب. بسرعة نظر الى الناحية الاخرى، لكن في غضون ثوان وجد نفسه يحدق بها من جديد. وجد ان اعجابها يسعده، كذلك جلستها وكل ما فيها. ادرك انها تستطيع اغواءه من خلال جهد قليل جدا منها، مع انه لا يتوقع ان تحاول. لكنه لا يثق بها بشأن المزرعة حتى ولو ان تصرفاتها البريئة لا تناسب امرأة بعمرها.
شمّ رائحة البنفسج الناعمة فسألها:«ما اسم عطرك؟»
«ماذا؟ آه، لا انا لا اضع عطراً. ربما هذا رائحة الشامبو.»
لم يجب فعلمت ان عليها ان تتحدث معه بشأن المزرعة، قالت:«والكر، اتمنى لو انني ماهرة بعمل شيء مثلك. لكن بامكاني القيام بأعمال كثيرة بمهارة، لكنني لست خبيرة في اي شيء.»
ضحك بصوت عالٍ، فهي ماهرة في إثارته.

وقفت امامه قائلة:«ما الذي يضحكك هكذا؟»
«لا شيء.»
قالت:«أسمع، لدينا القدرة لنتحدث، ان حاولنا، اليس كذلك؟»
نظر اليها للحظة طويلة، محدقاً بها، راغباً وبقوة ان يضمها اليه ويعانقها. لكن الشكوك تتضاعف في مخيلته، ربما تعرف جيدا القوة التي تمارسها عليه. وربما ليست بريئة كما تحاول ان تظهر نفسها.
قال وهو يبعد يدها عنه:«انت تحاولين السيطرة عليّ اليس كذلك، عزيزتي؟ فأنا لم اولد البارحة، كما تعلمين.»
قطبت جبينها وقالت:«انا لا افهم.»
«انني مدرك حول الاعيبك النسائية. ولن اسمح لك بالسيطرة علي. فهمت؟»
نظرت اليه بعينين جريحتين:«هل هذا ما تفكر فيه؟»
اومأ برأسه وقال:«بالطبع.»
عبست فأجبر نفسه على النظر بعيداً. لن يربح مطلقاً ان تخلى عن حذره الان.
قالت باهتمام وحماس:«من الواضح ان جيم قرر ترك حصته في المزرعة الى جيوف قبل ان نأتي الى هنا. وثيقة الائتمان وضعت من قبل محاميه. فلا بد انك تعرف بذلك. وما الذي سأجنيه ان حاولت السيطرة عليك؟»
رفع كتفيه وعلق بسخرية:«ان استطعت السيطرة عليّ ستحظين بلجام هذه المزرعة.»

«هذا جنون. لا احد يملك هذا التأثير على اي شخص. وكما قلت، انا لا اعلم شيئاً عن إدارة عمل كهذا.»
حاولت ان تمد يدها لتمسك بيده، لكنها فكرت قبل ان تفعل. «والكر، من فضلك، انا اخبرك الحقيقة. الا نستطيع ان نبدأ من جديد، ونحن متفاهمان؟»
قال لها وهو يمر أمامها متجها الى المنزل:«سنتفاهم جيدا، فقط ابقي بعيدة عني.»
راقبته ستايسي يبتعد وشعرت كأن املاً في حياتها ينطفىء. ستكون الامور اكثر قسوة مما اعتقدت، فجعل هذا الرجل اكثر لطفا، يجعل منه اكثر واكثر قسوة.

الفصل الخامس

ضجيج محرك شاحنة ايقظ ستايسي في صباح اليوم التالي. ولأول مرة خرج جيوف من دون ان يقفز على سريرها. تساءلت من ذا الذي يغادر في هذه الساعة، بنعاس شديد نهضت وأبعدت الستائر لتنظر.

تعرفت على صاحب الشعر الرمادي على مقعد القيادة، من الواضح ان جيم متجها الى البلدة. الساعة تشير الى السادسة والنصف، ليس الوقت باكرا جدا كما تعتقد، لكن حتى مع الساعة والنصف التي يحتاجها ليصل الى هناك، فما زال الوقت باكرا لأي نوع من التسوق في باكر سفيلد. لا احد يبدأ بعمله هناك قبل التاسعة، وجيم سيصل الى هناك عند الساعة الثامنة وهذا عمل لا منطق فيه على الاطلاق.

في تلك اللحظة قررت ان تسأله الى اين يذهب عندما سيتجه الى البلدة. كانت شبه متأكدة ان لديه سببا ما، مما يهدأ من قلقها. فهي ليست فضولية، لكنها فعلا بدأت تهتم للرجل الكبير. كما وانه قدم لها ولولدها الكثير ولم يطلب اي شيء بالمقابل.

عاد جيم عند الظهر وعجلات الشاحنة تنشر الغبار على الطريق، ذهب والكر في جولته المعتادة مع الضيوف منذ ساعات. وجيوف كان في المخزن مع

احد اولاد عمال المزرع، يسأل عن عمله هناك. لم ترغب ستايسي في التدخل لدى محاولته الاولى لتعرف على صديق. فهي مازالت تشعر بالقلق على عدم قدرته في التعامل مع اطفال من عمره. ابن عامل المزرعة، سكوتي، يكبره بعام واحد، لكنه قوي ومعتاد على العيش في الريف. كما وانه اطول من جيوف واكثر منه وزنا. لكن، عندما كانا يلعبان بالالعاب الكهربائية تفوق جيوف عليه، ونشأت بينهما صداقة.

خرج الولدان من المخزن عندما سمع هدير شاحنة جيم، وجيوف يقود اصغر حصان رأته ستايسي في حياتها، قالت:«آه، جيوف، اخبرتني ان هناك حصانا صغيرا جدا في المخزن، لكن اعتقد انني نسيت، انه رائع.»

فتح جيم باب الشاحنة، وترجل منها وهو يقول:«صحيح، سنوبول جميل جدا، اليس كذلك؟ نحتفظ به هنا لأجل الاطفال الذين يزورون المزرعة. فهم يحبونه.»

قالت ستايسي، وهي تقيسه بالنسبة الى ساقها:«وانا ايضا احبه، لا يمكن ان يكون اطول من ثلاثة اقدام.»

ابتسم جيوف، وهو يمسك اللجام:«قال لي سكوتي انه اصغر نوع في الخيول في العالم كله.»

وافقته ستايسي:«انه صغير جدا.»

قال سكوتي:«لا احد يستطيع الركوب عليه، لكنه

يستطيع جر عربة مليئة بالقش. احياناً احاول ان اضع عليه الاطفال الذين لا يستطيعون الذهاب في جولة على الخيول. وذلك مضحك جدا.»

ربت جيوف على عنق سنوبول وقال:«اتمنى لو استطع ان امتطيه، لكن اعتقد ان قدماي ستبقيان على الارض.»

علق جيم:«سيصبح لديك حصان خاص بك، هل يعجبك ذلك؟»

جمد الولد في مكانه وقد اتسعت عيناه:«أهذا صحيح!»

«ولد في المزرعة. بحاجة الى حصان خاص به. فهذه طريقة جيدة لتحمل المسؤولية من خلال الاعتناء بحيوان ما. والان دعني افكر.» وضع يده على ذقنه، «لست بحاجة الى حصان والش او شتلند. انت بحاجة لحصان تكبر معه، ربما حصان صغير، مدرب جيدا. لطيف. سأسأل والكر عن ذلك.»

قالت ستايسي محذرة:«جيم، لم اصل الى قرار بعد.»

«بشأن ماذا، أمي؟» قال جيوف وهو ينقل نظره بين جيم وأمه.

قال جيم بلهجته المعتادة:«بشأن العيش هنا؟ اعتقدت ان الامر قد انتهى.»

قفز جيوف في مكانه مرات عدة:«انت تقصد انك ستتركنا نعيش هنا؟ هل نستطيع البقاء، امي؟ هل نستطيع؟»

نظرت الى جيم بغضب وقالت:«سنرى، بني.»

«لكن، امي، يقول جدي اننا نستطيع البقاء هنا. وهكذا اعتني بالخيول كل يوم وانت... وانت تراقبينني.»

قال ذلك بحماسة وكأن عملها هذا سيملأ يومها بأفضل ما يمكن. «وليس عليك ان تعودي لذلك العمل المزعج.»

اصبحت الامور بعيدة عن السيطرة:«جيوف، قلت بما فيه الكفاية. سنرى ماذا سنفعل.»

لم ينزعج جيم من نظراتها الغاضبة، امسك بذراعها، وظهرت ابتسامة على وجهه وهو يسير برفقتها الى المنزل. «ستخيبين أمل الصبي، سيدتي؟»

«ليست هذه هي المسألة.» حاولت ان تبدو غاضبة منه، ولم تستطع. تنهدت، هي تعلم انها ليست غاضبة مطلقاً، كما وان جيوف يجب ان يعلم بالامر عاجلا ام آجلا. تابعت:«عليّ ان اقرر ما هو افضل له. وانا مازلت حائرة حتى الآن.»

ربت على يدها المعقودة داخل ذراعه، وقال:«ستقومين بالقرار الصحيح. لست قلقا بشأن ذلك.»

تخلت ستايسي عن الشجار، وتذكرت عما كانت ستسأله، فقالت:«رأيتك تغادر هذا الصباح متجها الى باكر سفيلد. الى هناك ذهبت، اليس كذلك؟»

لم يجب، فعادت وسألت باهتمام:«ربما هناك امرأة تذهب لرؤيتها؟»

«ماذا؟ لا، تخليت عن علاقتي بالنساء منذ زمن بعيد. فهن مصدر المشاكل.»

«فهمت، هل انت عضو في احد الاندية، اذن ولديكم اجتماع؟»

هز رأسه نافياً.

«ذهبت للتسوق؟»

دخلا المنزل، قال:«فقط مجرد العمل في المدينة.»

«آه.» هزتٍ رأسها وكأنها فهمت، لكنها بالطبع، لم تفهم شيئا. تساءلت لم كل هذه السرية؟ وازداد فضولها لمعرفة السبب.

في الداخل، انضما الى الضيوف من اجل تناول الغداء، وهمست ميريام الطاهية الى جيم. وطالما ان ستايسي بقربه، فقد استطاعت ان تسمع الحديث الدائر بينهما ولو بصوت منخفض.

كانت ميريام تقول:«لا اشعر اني بخير. لقد احضرت الغداء، ورودي سيتولى امر العشاء، مع انني اعددت معظمه وقلت له ليحضره بطريقة مقبولة لأنه ليس بطاه ماهر.»

هز جيم رأسه وقال:«اذهبي الى منزلك، ميريام، وارتاحي. ربما تعانين من بعض البرد، فهناك الكثير من هذه الحالات الآن، سيعمل رودي بشكل جيد حتى الغد. وسنراك غدا.»

هزت المرأة السمينة رأسها بتعب، نزعت مئزرها وعادت الى المطبخ.

همست ستايسي، وهي تشعر بالقلق على وجه المرأة الشاحب:«هل هي بخير؟»

«بالطبع، انها كالملح في الارض. لا احد يستطيع

السيطرة عليها.» دعا جيم الجميع الى الجلوس وتابع قائلا لستايسي:«ستعود في الغد، سترين ذلك بنفسك.»

لكنها لم تعد.

علمت ستايسي في صباح اليوم التالي ان ميريام قد ادخلت المستشفى في الليل لاجراء عملية الزائدة. وكان هناك كثير من التعقيدات في العملية الجراحية. وتحتاج لعدة اسابيع اكثر من المعتاد لتعود الى كامل صحتها.

احتاجت فقط لبضع ثوان لتصل الى قرار. امسكت ستايسي بمئزر وربطته على خصرها، قالت لجيم:«سأتولى امر الطهي.»

لأول مرة بدا عليه الحيرة، قال معترضاً:«ليس عليك القيام بذلك، بالتأكيد رودي يستطيع الاهتمام بالامر لفترة. سأتصل بوكالة للتوظيف في البلدة. وسيرسلون احدا ما لنا في غضون إيام قليلة.»

علمت ستايسي سيكون الأمر صعبا للحصول على طاه ماهر في هذه المنطقة البعيدة، حتى ولو بصورة موقتة. قالت وهي تسير نحو المطبخ:«لا تقلق بشأن ذلك.» وبدأت في اخراج علب البيض واللحم من البراد ووضعتها على طاولة اعداد الطعام. وهي تتابع:«انا طاهية ماهرة، بشهادة الجميع. كما وانني ارغب في العمل، فهكذا سأجد ما يملأ وقتي هنا.»

فكر جيم للحظة وقال:«حسنا، لكن حتى عودة ميريام للعمل.»

«اتفقنا. والان هل يمكنك المغادرة؟ فأنت تعيقني عن العمل، وعليّ اعداد الفطور في اقل من ساعة. انت لا تريد ان يتذمر الضيوف، اليس كذلك؟»

سمعت جيم يضحك بصوت عال وهو يخرج من الباب المتأرجح للمطبخ. عملت ستايسي ما تبقى من النهار، وهي توجه رودي وتحاول الاعتياد على ادوات المطبخ والكميات الكبيرة التي تطهوها. اعدت للغداء اللحم البارد والجبن ودعت الجميع ليحضروا السندويشات لهم بأنفسهم. اما على العشاء فقد اعدت اللحم المشوي المضاف اليه البصل وصلصة البندورة، مع الارز وكمية كبيرة من السلطة الخضراء.

تناول والكر ثلاثة اطباق من اللحم، وعندما انتهى من تناول قطعة الحلوى المجمدة الثانية، شعرت ستايسي بفرح كبير. فهي لا تشك مطلقا بمهارتها في اعداد الطعام. فقد توقع منها زوجها ان تكون ماهرة بذلك، ولعدة سنوات حاولت اسعاده بالانضمام الى معاهد تعلم اعداد الطعام، وكذلك كانت تتبادل هي وجيرانها طرق اعداد الطعام وتجربها كلها. في تلك الليلة رغم التعب الشديد، اعترفت ستايسي لنفسها انها تمكنت من القيام بعمل ما هنا. وهكذا ستشعر انها مفيدة، وجزء من احساسها بالفرح يعود لتثبت لوالكر انها تستطيع ان تكون منتجة في المزرعة. الطهي للضيوف كل يوم سيعطيها سببا مهما للبقاء.

بعد ظهر اليوم التالي دخل والكر المطبخ ليطلب

مشروباً غازياً. بحثت له في البرادٍ عن واحدة وقدمتها له، متوقعة ان يغادر، لكن بدلا من ذلك ادار كرسي وجلس عليه. وفي راحة يده قطعة من الخشب وسكين حاد.

وضعت زجاجة الشراب على الطاولة قرب يده ومسحت الطحين عن يديها بمئزرها، فقد انهت للتو اعداد فطيرة بالكرز. لم تعلم ما الذي تستطيع قوله. فهو يتناول الطعام بشهية واضحة، ومع ذلك لم يقل لها كلمة واحدة عن عملها. انها تحبس انفاسها في كل مرة يقترب منها. وها هي تحدق به من جديد، اخيرا سألته، منزعجة من اتجاه افكارها: «هل تريد شيئا آخر؟»

«لا.» تجاهل كلياً الشراب، وتابع بحفر الخشب، تاركا الفتات يسقط على وعاء صغير للفضلات.

«حسنا، اتمنى انك تحب رغيف اللحم، فأنا احضره للعشاء.» ادارت ظهرها ووضعت اللحم المفروم، البيض، وفتاة الخبز المحمص في وعاء. وبأصابع نظيفة مزجت الجميع معا.

قال بعد قليل: «احب رغيف اللحم.»

«والبطاطا المقلية؟» ما الذي يريده؟

«احب البطاطا المقلية، ايضا.»

«جيد.» اضافت البقدونس والحليب وحساء البصل الى الخليط، وتابعت المزج. من زاوية عينها لاحظت انه لم يلمس الشراب. ان لم يكن يشعر بالعطش، فلما اتى الى هنا؟

الصوت الوحيد في الغرفة هو صوت حفره للخشب وحركاتها في المطبخ. شعرت بالتوتر، وكأنه من واجبها ان تستمر في الحديث. هل يفكر والكر بشأنهما؟ سألته، لتتخلص من التفكير به:«هل جيوف يظهر تحسناً، لست خبيرة لأحكم عليه، لكنني لاحظت انه يمتطي الحصان بثقة اكبر.»

اومأ برأسه وقال:«جيوف يتحسن باستمرار.»

«بالمناسبة، ميريام افضل بعد اجراء العملية. اخبرني جيم ان زوجها اتصل ليقول انها بخير، وستعود الى العمل بعد ستة اسابيع.» لا بد انها تثرثر.

اخيراً، رفع رأسه وقال:«هل هذا يعني انك ستبقين هنا الى حين عودتها؟»

انشغلت كثيراً هذين اليومين، فلم تفكر في الامر. في تلك اللحظة اتخذت قرارها:«نعم، سأعمل في المطبخ حتى عودة ميريام.» وضعت اللحم في عدة صواني مغطاة بالعجين، ثم رتبتها ومررت رأس الشوكة على سطحها ووضعتها جميعاً في الفرن الكبير.

وقف والكر، وابعد كرسيه.«الن تضعي عليها صلصة البندورة او الكاتشب؟ احبها بالكاتشب.»

شعرت بالغضب، لكنها قالت بصوت هادىء:«عليّ التخلص اولاً من السمن الزائد، ولن اضع الكاتشب حتى تكاد تنضج. لكن لا تقلق سيكون هناك الكثير من الكاتشب.»

«جيد.» سار نحو الباب وفتحه.

وضعت يديها على خصرها وتجهم وجهها وهي

تحدق به. لقد اتى ليخبرها كيف تحضر الطعام؟

وقبل ان يخرج، توقف وقال من وراء كتفه:«يعجبني طعامك، فهو شهي حقاً.»

«شكراً.» هذا كل ما استطاعت قوله:«شهي حقاً؟» ما هذا الاطراء. انها لا شيء بالمقابل مع باقة من الورد تخيلتها من رجل يهتم بها. ها هي تفكر برومانسية في هذا الرجل الاحمق، وهو لا شيء يشغل باله الا قطعة من الخشب وكثيراً من الكاتشب.

زفرت بضيق واستدارت نحو المغسلة لتغسل يديها، لكن شيئاً ما على الطاولة اثار انتباهها. انها قطعة الخشب، وقد تحولت الان الى حصان رائع.

ليست بحاجة ليخبرها احد ما ان والكر صنعها لأجلها. انها هدية منه. بسرعة غسلت يديها وجففتهما وأمسكت القطعة الرائعة. لعدة دقائق، نظرت الى القوائم الواضحة، الى الظهر الواسع والى الرأس المرتفع بكبرياء. انه رائع. تنهدت ووضعته على الطاولة من جديد، عندها لاحظت ان زجاجة العصير مازالت مكانها، ولم يلمسها.

في اليوم التالي وصل تقريباً في ذات الوقت، بين الزهتين، هذه المرة طلب شيئاً ما يأكله. نظرت الى الحصان المنحوت الذي وضعته على حافة النافذة، ثم وضعت امامه قطعة حلوى مصنوعة بزبدة الفستق.

سحب كرسياً و جلس بذات الطريقة وكأنه يمتطي حصاناً.

سألته:«هل تجلس دائماً بذات الطريقة؟»

ابتسم وقال:«اعتقد من طول الفترة التي امضيها وانا امتطي الخيول اصبح ذلك امرا طبيعيا لدي. هل يزعجك؟»

تساءلت ما الذي سيفعله ان قالت انها منزعجة:«لا امانع البتة.»

قال بعد ان قضم قطعة:«هذه الحلوى شهية، مصنوعة بزبدة الفستق؟»

ابتسمت وقالت:«شكراً.» فكرت انه ربما يحاول ان يقدم لها اطراء ما، مع ان ليس ذلك ما تريد سماعه من شخص معجب بها، بل تفضل مثلاً، شعرك يتوهج كضوء القمر، او عيناك تشعان كبريق الشمس على المياه.

تابع:«لكن الشوفان والزبيب هي الحلوى المفضلة لدي، ميريام تصنعها بطريقة مميزة، وبالطبع انا افتقدها. هل بامكانك اعدادها؟»

هذا النوع من الحلوى اكثر ما تجيده. قالت:«اعتقد انني استطيع المحاولة في وقت ما.»

اختار قطعة اخرى ووضعها في فمه، جال بنظره في الغرفة بدون تحديد، وكأنه يرغب في تمضية الوقت. فكرت عندما انهى الطبق كله انه ربما رغب ببعض الرفقة. فربما يشعر بالوحدة. نظرت إليه، وتذكرت اراءها السابقة بشأنه. قال لها مرارا ان تبقى بعيدة عنه، ومع ذلك، ها هو يأتي لرؤيتها مرتين في يومين متتاليين.

هل يمكن ان يكون هناك سبب آخر؟ قال لها ان

سيطرت عليه ستتمكن من السيطرة على المزرعة. لكن اليس العكس صحيحا؟ ان سيطر عليها، الا يستطيع التحكم بحياتها؟ وفي الحقيقة، عليها ان تشك بدوافعه.

تنهدت ستايسي مرتبكة من اضطراب عواطفها. لو ان لديها اخ او اخت لتتمكن من ان تفصح عن مشاكلها. لكنها طفلة وحيدة، نشأت مع والديها الهادئين حتى وفاة والدها منذ عدة سنين.

وقف والكر فجأة قربها. ولم تلاحظ ذلك. لمس كتفها وقال:«الى اين وصلت افكارك الآن؟»

«فقط افكر.»

«بشأن ماذا؟»

«فقط، بما سأفعله.»

نظر الى كومة الاطباق الوسخة وقال:«اعتقد ان كونك طاهية تبقين منشغلة دائما.»

«ليس هذا ما قصدته.» تساءلت ان تعمد عدم فهمها، لكنها لاحظت الاهتمام في ملامح وجهه وهذا ما ادهشها.

لم تستطع الا ان تبتسم، قبل ان تقول:«كما وان، الا تعلم الفرق بين الطاهي ورئيس الطهاة؟»

«لا، ماذا؟»

تابعت وهي تستمر في الابتسام:«رئيس الطهاة لا يغسل الاطباق.»

ضحك وقال:«هذا عمل رودي، صحيح؟»

«صحيح.» وجدت نفسها سعيدة بإجابته المرحة.

فتخلت عن الشك به في الوقت الراهن ونظرت إليه باحثة عن الصدق والنزاهة التي تأمل انه يملكهما. لكنها فقدت السيطرة على افكارها وبدأت تفكر كم تجده جذابا. فهي لم تشعر مطلقا بهذا الانجذاب نحو رجل في حياتها، فقط من مجرد النظر اليه. احتاجت لبعض الوقت لتدرك ان يديها ترتجفان.

قال لها محذرا، وقد ضاقت عيناه:«لا تلعبي بالنار معي، ستايسي.»

رأت في وجهه ملامح من الذكاء وفقدان الصبر والشوق معا، قالت:«ما الذي تقصده؟»

«لا تنظري الي هكذا، والا...»

قالت وهي تضع يدها على رقبتها:«آه، آسفة.» انها تلعب بالنار حقا. فهو ليس برجل بريء. فهو خطر، ومن الافضل ان لا تنسى ذلك. قالت متلعثمة:«علي ان ابدأ بتحضير البطاطا.» استدارت لتفتح جارورا وتخرج منه آلة لنزع قشرة البطاطا. كانت يداها لا تزالان ترتجفان، تابعت:«من الافضل ان تعود الى العمل، ايضا. فلديك نزهة على الخيول، والضيوف بانتظارك.»

«صحيح.» شعرت بأنه مندهش ايضاً مما يحدث بينهما. اشار بيده نحو طبق الحلوى وتابع:«شكرا على الحلوى.» توقف عند الباب:«حضري شيئا ما يمكن اعداده وانت في النزهة غدا بعد الظهر، جيوف يريدك في التجوال.»

رفعت نظرها وقالت:«حقاً؟» لِمَ يذكر لها ذلك.

«سنذهب لمطاردة الخيول البرية من جديد، ويريدك ان تريها.» سحب من جيبه الخلفي شيئا ما، تابع:«خذي، هذه ستحمي يديك.»

عندما امسكت بها شعرت بنعومة القازين من جلد العجل فرفعت عينيها انها جديدة. وبحجم يديها، وتشبه كثيرا القفازين اللذين قدمهما الى جيوف. لم يحظ بالوقت ليذهب الى المدينة، اذن لمن هذه؟ سألته:«من اين حصلت على هذه؟»

رفع كتفيه وقال:«امرأة هندية تعيش وراء الجبال صنعتها. طلبت منها منذ عدة ايام ان تصنعها بحجم يديك. لاحظت انك تطلين اظافرك بلون زهري. وانت لا تريدين ان تفسديها، اليس كذلك؟»

ومن دون انت ينتظر اي إجابة، اندفع عبر الباب المتأرجح، حدقت ستايسي به، وهي تمسك بالقفازين بدهشة. هدية اخرى؟

اتجه والكر نحو المخزن وهو يبتسم، لم يستطع ان يمسح تلك الابتسامة عن وجهه ولو بدا احمقا، لكن ستايسي معجبة به... تنفس بعمق، فهو ليس اجتماعيا مع النساء، لكن للحظات غالية جدا تجنب التفكير بأي اهداف خفية قد تغمرها.

ان كانت تريد السيطرة على المزرعة من خلاله، فمرحب بها انها تحاول. هو يعلم ان ذلك لن يحدث ابدا، وهو احمق ان قلق بشأن ذلك. كل ما عليه القيام به هو الاستمتاع بهذا التطور غير المتوقع والمفرح حتى النهاية. وتساءل، كم يحتاج من الوقت لتصبح صديقته؟

وضعت ستايسي ديك حبش كبير في الفرن بعد ان وضعت الكثير من الزبدة عليه واغلقت الفرن بأحكام. نظرت الى نفسها، لتتأكد من هندامها وتنهدت. لا يمكن لاحد ان يعتقد انها فتاة تصلح للحياة في المزرعة. فبنطالها رقيق ولا يصلح لامتطاء الخيول، وقميصها بدون اكمام صفراء اللون، لا تشبه مطلقا القمصان السميكة ذات الاكمام التي ترتديها النساء الزائرات، لكن هذا افضل ما تستطيع ارتدائه. والاسوء في كل ما ترتديه هو حذاءها الرياضي، والذي لا يشبه مطلقا الاحذية الجلدية ذات الساق الطويلة.

لاول مرة تمنت لو انها اشترت ثياباً مناسبة قبل ان تأتي. واثناء تناول الفطور، علق جيوف بشأن ثيابها، وسأل والكر ان كانت ستمتطي الخيل وهي بهذه الثياب. هزت برأسها، وهي تشعر بالاحراج، ثم تساءلت عن رد فعلها، فمنذ اسبوعين ما كانت لتهتم مطلقا بما يفكر به والكر.

قال بدون اي مقدمات:«تحتاجين لحذاء طويل الساق، سأدعك تذهبين معنا اليوم لأننا سنسير على الخيل، فليس من الامان ان تمتطي الخيل بدون حذاء جيد. وسأجعلك تمتطين سبوت، فذاك الحصان العجوز لا يركض حتى ولو قفز اسد على ظهره.»

وبينما كانت تعيد الاطباق الى المغسلة بعد مغادرة الضيوف، كانت تجري حسابات سريعة في مخيلتها. ستدفع عما قريب ايجار شهر عن شقتها في المدينة،

وهذا سينقص بقوة من مدخراتها، لكنها ليست هي وجيوف هناك لمزيد من المصروف، لذلك ليس عليها ان تقلق بذلك الشأن. كما وان البقاء هنا لستة اسابيع سيمكنها من دفع ثمن حذاء جديد، لأنه غال جدا.

شعرت بالتوتر على الفور، عليها ان تذهب الى المزرعة الان، فالجميع بانتظارها. وبعينين قلقتين حدقت بالحبش عبر الزجاج الصغير للفرن وتعجبت من التغير الذي طرأ عليها. منذ متى اصبحت تهتم لرأي والكر؟

شعرت بيد دافئة على كتفها، قال والكر:«انت لست خائفة، لم اقصد ان اخيفك عندما تحدثت عن الاسوء او القفز عن الحصان.»

اومأت برأسها لكنها لا تملك القدرة الكافية لتعترف بالحقيقة.

وضع يديه الاثنتين على كتفيها، قال بصوت عميق:«لا تقلقي بشأن اي شيء، عزيزتي. انت تعلمين انني سأهتم بك، اهتم بك حقا.» وليؤكد كلامه ابتسم لعينيها.

ابتسمت له وهي تعلم انه لا يدرك معنى كلامه. وطالما انها اعطت التعليمات لرودي كي يهرس البطاطا في وقت لاحق ويضع الفاصوليا الخضراء على النار، سارت برفقة والكر الى الزريبة.

لم يضيع اي وقت، بل على الفور جعلها تمتطي سبوت. في البداية شعرت بالتوتر، فهي لم تمتطي اي حصان منذ ذلك النهار الذي وصلت فيه الى

المزرعة، ولا تملك اي فكرة كيف ستتعامل معه. لكن والكر شرح لها بصبر المبادىء الرئيسية لركوب الخيل، طالبا منها ان تمسك اللجام بيد واحدة، وان تبقى قدميها ثابتتين لتتمكن من التوازن بشكل افضل. فعلت ما قاله تماما، ونظرت اليه، فهز رأسه وقال:«انت تقومين بعمل جيد، عزيزتي. سنجعل منك فتاة تمتطي الخيل بسهولة.»

هدوء والكر وثقته بنفسه دفعاها كي ترتاح، ومن كل جانب، كانت تبدو الجبال كالعمالقة، واشجار السنديان الضخمة تحيط بهم من كل جانب وأشجار الليمون تبدو اكثر جمالا قرب الاشجار الزرقاء الصغيرة. تنشقت ستايسي بفرح الرائحة المنعشة لتلك المنطقة.

سار والكر صعوداً ونزولاً قرب كل الضيوف، ليسألهم بتهذيب عن حالهم، ولاعطائهم تعليمات، والبقاء صامتا عندما لا يحدثه احد. بدا وكأنه الدليل المثالي، كما وانها تعجبت كيف انطلق بالحديث عندما سألته عن الماشية قريبة من التلال.

الماعز البيضاء والبنية اللون من قطيع هيرفورد تملأ السهل، وهناك عدد من الثيران الكبيرة.

سألت:«وهل لديكم دائما ذات النوع من الابقار؟ كلها هيرفورد؟»

مال والكر برأسه والكر قبل ان يقول:«مرة اشترينا ثور براهمن كلفنا ثروة. وفكرنا في ان نحصل على نتاج جيد منه، لكنه لم يتعاون ابدا.»

«ولمَ لا؟»

رفع كتفه قائلاً:«لم نتمكن مطلقاً من ان نوصله الى المزرعة. البائع يعيش في الوادي، من وراء خط القطار، وقال لي ان الاتفاق هو ان اذهب لاحضره بنفسي.»

«وهل فعلت؟»

ابتسم بمرارة، فعلمت ستايسي ان القصة معقدة:«ذهبت مع اثنين من رعاة الماشية، على الخيول، وعملنا على ايجاده. تمكنت من معرفة مكانه، فقد كان كبيرا ويزن اكثر من الفي باوند.»

شهق جيوف:«واو، وكم يزن الحصان؟»

«لنقل ان ذلك الثور كان يزن مقدار حصانين من الذي تمتطيه الان. بكل الاحوال، تصورت اننا نستطيع ان نأتي من ورائه، ونلاحقه حتى يدخل الى الزريبة التي اعدت له. لكن كان لديه افكار اخرى.»

قال جيوف بحماس:«اي افكار، والكر؟»

لاحظت ستايسي ان الضيوف قد تجمعوا ليصغوا بانتباه الى قصة والكر.

«سار بخط واضح، متجها نحو خط القطار، اعتقدت، انه لن يبقى هناك لوقت طويل، لكنني كنت مخطئا. فأسرعت باللحاق به عبر الطريق، لكن اكتشفت ان الجبل منحدر جدا من جهة ومعرض للسقوط من الجهة الاخرى فعليه ان يبقى في وسط الطريق لأنه ليس هناك مكان آخر يذهب اليه.»

وجدت ستايسي نفسها مشدودة للقصة كالباقيين:«وماذا حدث؟»

استمر الثور بالركض، ولم اشعر بالقلق عليه الا عندما سمعت صوت قطار قادم.»
قال السيد بوتر:«آه، هل كنت دفعت ثمن الثور؟»
«نعم، لكنه كان مؤمناً، ومع ذلك شعرت بالحزن على خسارة حيوان بهذه القيمة وابعدت حصاني الى الجبل قدر ما استطيع حتى يمر القطار.» توقف عن الكلام لينظر الى عيون المستمعين قبل ان يتابع. ابتسمت ستايسي، فهي تعلم انه يستمتع بما يحدث.
ثم تابع:«مرّ القطار اخيراً، وعدت الى الطريق لأراه، لكن الثور ابتعد عن الطريق مثلي، لأنه عاد الى الطريق ليركض من جديد.»
اتسعت عينا جيوف:«لم يقتل؟»
«لا، عادت المطاردة لكن توقف واستدار لمواجهتي انا والحصان، ولم اعرف ذلك حتى وصلت الى المنعطف وركضت صوبه. حسناً، لقد اصاب حصاني، ليس إصابة خطرة، لكن بما يكفي كي تسيل دماؤه. قفز الحصان مبتعداً وتركني هناك مع جبل، الهاوية تحيط به من جهة وشديد الانحدار من جهة اخرى، وثور مجنون يريد ان يمزقني.»
قال السيد بوتر بحماس:«وما الذي حدث بعد ذلك؟»
تجهم وجه والكر وقال:«حسناً، اعتقد انني رجل قوي، لكن في ذلك اليوم لم اكن قوياً ابداً. بدأت في صعود الجبل رغم وعورة الطريق ممسكاً بالحجارة والاعشاب وكأنني ارنب بري اهرب من ثعلب. طوال

الوقت كان الثور ورائي، يهجم برأسه محاولاً ان يزرع قرونه في ظهري.»
ضحك الجميع، قال بوتر:«لا بد انك ابتعدت كثيراً، لأنك لا تعرج.»
«نعم، تقريباً عشرة اقدام وانتظرت هناك وانا احمل غصن شجرة مليئة بالاشواك حتى تعب الثور وابتعد. احتجت لأكثر من ساعتين حتى تمكنت من الامساك بحصاني وأخذه الى المعالجة. لم احصل مطلقاً على ذلك الثور، لكنني استعدت اموالي.»
علق بوتر:«وأراهن حتى هذا اليوم مازلت لا تحب ثيران البراهمن، اليس كذلك بوتر؟»
«انت على حق مئة بالمئة.»
اشار جيوف وهو يصرخ:«انظري، انها الموستنغ، امي.»
ظللت ستايسي عينيها وتمكنت من رؤية القطيع البعيد، ثماني خيول، مجتمعة في مكان صغير، وليس هناك اي وجود لمهر.
«اين ريدج فاير؟» قال جيوف بقلق وكأنه يردد صدى افكاره.
قال والكر:«انظر الى الناحية الاعلى من الجبل، انه يختبىء خلف التلة. الاحصنة تبقى بعيدة قليلاً عن الانثى لتبعد عنها الخطر.»
تراجع جيوف على سرجه وقال بفرح:«يمكنني ان اراه الان، انه رائع، اليس كذلك، امي؟ اتمنى لو انه حصاني. سأعتني به جيداً وامتطيه كل يوم.»

ضحك والكر وقال:«لا احد يستطيع امتطاء ذلك الحصان، بني انه فاسد.» وتابع بشيء من الندم:«من المؤسف، ان حصاناً بكل هذا الجمال يصبح مشرداً.»

تجهم وجه بوتر وعلق:«لكنه في الخارج قادر على انجاب خيول برية، اليس كذلك؟»

«بالطبع وهذا امر مؤكد. وعلى الاقل لم يتم قتله وتحويله الى طعام للكلاب.»

صرخ جيوف:«أه، لا.»

رفع والكر كتفيه ودفع الجميع ليتابعوا المسير، لكن ستايسي لاحظت تحديق ابنها الدائم بالمهر.

في اليوم التالي، وبعد اجتماع تم بين والكر وجيم، اعلن والكر انه سيرسل بعض عمال الماشية لجمع عدد من الخيول البرية.

قال موضحا الامر لكل شخص وهم يتناولون العشاء:«هناك عدد كبير منها في التلال، وعلي ان اوافق جيم، ان كنا سنحافظ على بعضها، نحن بحاجة لجعل عددها اقل.»

سأل جيوف وقد نسي امر العشاء:«وما الذي سيحل بها؟»

سيرسلها الى مكتب حماية الطبيعة، واتمنى ان تحظى بالعناية الكافية هناك.»

لسوء الحظ، تم الامساك بريدج فاير ايضاً، عندما طارد رعاة الماشية الخيول عبر الجبل حتى الزريبة المعدة لها وقد اثارت موجة من الغبار والاصوات

القوية وهي تركض هاربة، لاحظت ستايسي على الفور ان جيوف رأى المهر الكبير.

صرخ:«هاي!» وركض من المنزل داخل الغبار المتصاعد والضجة الكبرى نحو الزريبة:«ايها الشاب لقد احضرتم حصانا بالخطأ.»

اقترب والكر، وامسك جيوف من ذراعه قبل ان يدخل من دون تفكير عبر الدرابزين الى القطيع الخائف.

رأت ستايسي من مكانها على الشرفة ما حصل، فتنفست براحة، واقتربت منهما ببطء، كان والكر يحدث جيوف:«لا يمكنك الدخول الى هناك، فقد تصاب بمكروه كبير، استعمل عقلك.»

بالكاد سمعه الصبي، وبقي يتحرك كي يخلص نفسه:«لقد احضروا الخيول بالخطأ، عليهم ان يتركوها وشأنها.»

هزه والكر قليلاً وقال:«توقف عن الحركة واسمع، لديهم معلومات ان يحضروا اي مجموعة الاقرب الى المزرعة. وامر سيء انها مجموعة حصانك المفضل، بني، لكنها هنا الان، ولن نسمح بتركها حرة، عليك تقبل ذلك.»

توقف الصبي عن المقاومة اخيراً، اتسعت عيناه من الخوف وقال:«هل ستسمح لهم بأن يقتلوه ويطعموه للكلاب؟»

«لا.» ثم تابع والكر بصوت ألطف:«اولاً، ريدج فاير ليس حصانا بريا، ولا موستنغ. لذلك لا يطبق عليه ذات القانون. انه حصان هارب. سندعه

يرحل، هذا كل شيء فهو ينتمي الى بارام.»
«قلت انه شارد، هل ستبيعه، اذن؟»
هز والكر رأسه وقال:«لا اعرف، علينا ان نفكر بالامر.»
ابتسم جيوف، فتابع والكر:«لا تبدأ بالاحلام حوله. قلتٍ لك انه فاسد. ولا يثق بأي انسان. هو خطر جداً.»
«ريدج فاير؟ خطر؟»
احساس بفقدان الصبر جعل صوت والكر حازم:«قلت لك انه سيء!»
«والكر.» تجهم وجه ستايسي وهي تهز رأسها. تنهد وانحنى قرب الولد:«اسمع، بعض الخيول ليست جيدة. ربما مالكه السابق آلمه كثيرا. ربما وُلد مع عطل ما في دماغه. انه من النوع الذي لا يمكن إعادةٍ تأهيله. عندما احضرناه الى هنا، عملت عليه كثيراً، جيوف، لساعات وايام. ولم استطع القيام معه بأي شيء. انا لا اقول ذلك كي اتبج، لكن ان كنت انا لم استطع انشاء صداقة مع حصان، فهذا يعني ان ذلك امر مستحيل.»
جيوف ولد هادىء بطبيعته وعقلاني، لذلك عندما لمعت عيناه بالتمرد تفاجأت ستايسي وهي تسمعه يقول:«انا استطيع ان اصبح صديقه. اعلم انني استطيع.»
وقف والكر وقال بصوت محبط:«بني، عليك ان تفهم، ان عصيت اوامري ودخلت الى الزريبة، قد يقتلك.»

هز جيوف رأسه وقال:«لا.»
تقدمت ستايسي وهي تقول:«جيوف، عليك ان تعدني انا ووالكر انك لن تدخل الى الزريبة الآن.»
نظر جيوف الى اكثر شخصين يحبهما في حياته، تجهم وجهه وقال:«حسنا، اعدكما.»
وضعت يدها على رأس الصبي، ابتسمت وقالت له:«لقد حافظت دائما على كلمتك، جيوف. واعلم انك ستفعل هذه المرة ايضا.»
سار نحو الزريبة ووقف قريباً من الحواجز، انحنى مراقبا. تنهدت ستايسي بحيرة.
سمع والكر تنهيدتها وشعر بالضياع. يعلم جيداً انها ستفعل كل ما تستطيعه لتحمي جيوف من أي صدمة جديدة. وعلم انه يوافقها الرأي، فقد مرّ الصبي بما يكفي من الصدمات.
شعر برغبة قوية كي يخفف عنها، رأى اشعة الشمس تشع على رأسها المنحني، فرفع يده كي يلمس شعرها.
في اللحظة الاخيرة توقف. كم عدد الرجال الحمقى الذين سقطوا لاجل وجه جميل وابتسامة محببة؟ في الواقع، هو يعرف القليل مما تفكر به ستايسي. لكن عليه ان يعرف.
قرر، انه حان الوقت، ليعلم دوافع ستايسي الحقيقة.
نظر حوله، فالمكان يعج بالضيوف واولادهم، رعاة الماشية والحيوانات. لا، ليس هنا، عليه ان يأخذها الى مكان بعيد.

قال لها وهو يأمل انه اتبع الطريقة الواضحة والمباشرة:«اريد ان اخرج معك، بعيدا عن هنا، ربما لتناول وجبة ما.»

رفعت رأسها مندهشة وقالت بصوت كالصرير:«نخرج معاً؟»

«نعم، معاً.» وبفقدان صبر، رفع قبعته ومرر يده داخل شعره، ثم وضع القبعة على رأسه بطريقته المعتادة. هذا الطلب قد يحرجه فعلا. ماذا عليه ان يفعل، ان يكتب لها الدعوة على الرمال؟

الفصل السادس

نظرت ستايسي الى وجهه، محدقة بعينيه، قالت:«دعني افهم ما تقوله، انت تطلب مني الخروج في موعد معك؟»

«صحيح، موعد. تماماً كما يفعل اي رجل وامرأة معا.»

«فهمت.» وتجهم وجهها، متسائلة ما سبب هذا العرض. لا بد انه يشعر بالتهديد من وجودها. هل يتعلق الامر بقرارها البقاء لمدة ستة اسابيع حتى شفاء ميريام؟ ربما يشعر بالقلق من ان تنتقل الى هنا بصورةٍ دائمة.

قال ساخرا:«كما ارى، ستذهبين، اليس كذلك؟»

«لا اعتقد انها فكرة جيدة.»

«ولمَ لا؟ سنذهب الى البلدة، نتناول العشاء ونتَحدث.»

«يمكنني ان احضر العشاء هنا، ثم نتكلم.» تخرج في موعد معه؟ تستطيع إن تصدق ان الرجل يطلب منها شيئا تمنته فعلا في اعماقها. وفي ذات الوقت، هي لا تثق انه يريد فقط تمضية بعض الوقت برفقتها. لدى والكر افكار معقدة، وهو ذكي. لا بد ان هناك امرا ما مخفي. ركزت نظرها على جيوف، الذي تابع التحديق بحزن في الحصان البري.

بقي والكر صامتا، وقد شعرت بتعجبه من رفضها

www.elromancia.com

الواضح. نظرت اليه وصدمت لرؤيتها الشعور بالحزن في عينيه. ادار وجهه بسرعة، لكنها تمكنت من رؤية ذلك. هل كانت مخطئة؟

قال لها بهدوء:«سأنتظر اذن دعوتك الى العشاء هنا.» واستدار ليسير الى المخزن. انه المكان الذي يقصده عندما يشعر بالانزعاج.

«انتظر.» وشتمت ستايسي قلبها الرقيق وتقدمت خطوتين نحوه. توقف، لكنه لم يستدر:«انا... ربما نستطيع الذهاب للتجول هنا او اي مكان.»

التقت نظراته بنظراتها:«نتجول سيرا على الاقدام؟»

«آه، بالطبع. ما رأيك في نزهة. يمكنني ان اعد الغداء، لنقل نهار السبت، وهذا بعد يومين.»

قال وقد بدا الارتياح على وجهه:«نزهة تبدو فكرة جيدة، لكن الكاوبوي لا يسير.»

«حقا؟»

«لا، بل يمتطي الخيل.» وقبل ان يتابع سيره ابتسم لها. اطلقت على نفسها كل الاسماء التي تؤكد حماقتها، لكنها لم تستطع إلا ان تبتسم مثله.

اصبح جيوف وسكوتي يمضيان الكثير من الوقت معا، وهذا ما اسعد ستايسي. ونهار الجمعة وصل الى المزرعة ضيوف جدد وغادر عدد من الضيوف، فقد انتهت عطلتهم. في المجموعة الجديدة عدد من الاطفال، من بينهم صبيين في الثانية عشر من عمرهما، مزعجين، بدأ الركض في المزرعة وملاحقة الماشية، وبالتذمر من الطعام وطلب امتطاء اسرع الخيول.

في اقل من يوم ضاقت ستايسي ذرعاً منهما، خصوصا انهما سيبقيان في المزرعة لمدة اسبوع كامل. بالنسبة اليها هما مصدر ازعاج، اما لجيوف فهما مصدر لإثارة المشاكل.

بعد العشاء، يمضي الضيوف اوقاتهم في غرفة الجلوس حيث يعمد البعض الى القراءة او اللعب، لاحظت ان الولدين يزعجان جيوف، وينادیانه بالقصير والهزيل، ومن دون ان تعرف السبب، ابتعدت عن الباب، لتبقى بعيدة عن النظر.

قدم سكوتي الى المنزل ليلعب مع جيوف بعد ان تناول عشاءه مع عائلته. كان تقريبا بحجم الولدين، فلم يخاف منهما، بل قال:«ابتعدا، نحن منشغلان.»

احد الصبيان، صاحب الشعر الاحمر، حدق بسكوتي. وعندما لاحظ انه لا يخاف منه، استدار نحو جيوف:«هاي، ايها الصغير، نريد ان نلعب الورق. اخذته لوقت طويل، نريده الآن.»

أرغمت ستايسي نفسها على عدم التدخل. ان تطورت الامور، كما هو محتمل، تعلم ان ولدها سيتخلى عن الورق او سيبدأ بالبكاء، وهذا ما كان يفعله من قبل، قال:«هناك مجموعة اخرى.» وأشار عبر الغرفة الى رف عليه مجموعة من الألعاب.

«اذهب انت وأحضر غيره، ايها الصغير. نريد هذا الورق.» مدّ الصبي ذات الشعر الاحمر يده، وأمسك بالورق الملقى على الطاولة بين جيوف وسكوتي.

جيوف كان اسرع. مدّ يده وغطى الورق وهو

يقول:«نحن في وسط اللعبة. يمكنك ان تأخذه عندما ننتهي او اذهب واحضر غيره. مفهوم؟»
كانت ستايسي متأكدة انها رأت القلق في عيني ابنها، فعضت على شفتها.
سأل ثانية:«اتفقنا؟»
«لا، لم نتفق.» وضع الصبي يده على يد جيوف وعصرها.
قال سكوتي:«هاي، ايها الصبي، ارحل من هنا.»
اجاب الصبي:«انت ارحل، ام انك تريد الشجار بسبب ذلك، في الخارج وراء المخزن؟»
نظر سكوتي اليه بغضب وقال:«يعمل ابي في المزرعة، ولا يمكنني التقاتل مع الضيوف.»
اجاب صاحب الشعر الاحمر، وهو لا يزال يضغط على يد جيوف:«وماذا عنك، ايها الصغير؟ هل تقاتل؟ ام ان امك لن توافق.»
ساد القلق بينما عمد الاولاد الثلاثة التحديق بجيوف.
عضت ستايسي على شفتها، مجبرة نفسها على البقاء هادئة. اخيرا وقف جيوف، وقال بهدوء:«لا فائدة من التحدث معكما، هيا، سكوتي. لنترك لهما الورق ونذهب لمشاهدة الخيول.»
خرج جيوف وسكوتي وجلس الولدان الآخران على مقعديهما وعلامة النصر والفرح على وجهيهما. لكن ستايسي كانت فخورة، فابنها لم يبك او يهرب خائفا. ببساطة تجنب شجارا وأنقذ نفسه بمخرج مشرف. تنفست براحة وعادت الى المطبخ. ومع ان الوقت قد

تأخر وانتهى موعد تناول العشاء وكل المكان نظيف، لكنها اخذت تعد اللازانيا، وبعد ان حضرت الصلصة وغمرت اللازانيا بها مع الجبن وضعت المزيج في وعائين ليخبزا على العشاء غدا. لقد اعطت رودي كل التعليمات المناسبة، وهكذا تستطيع الذهاب بنزهة مع والكر.
اخذت تفكر فيما سيحدث غداً، ربما تستطيع ان تخبره بعض النكات او تمدحه، اي شيء ليخفف من مزاجه الحزين. فهناك لطف ورقة في اعماق والكر، هي تعرف ذلك. وغدا ستبدأ بالمحاولة لاظهارها. وان لم يكن لاجلها، فلأجل جيوف. سيكبر جيوف بسرعة، وفي غضون سنين قليلة سيعمل مع والكر كمالك للمزرعة مثله. فعليها ان تفعل ذلك من اجل ابنها.
سألت ستايسي ما ان قاد والكر خارج الزريبة:«هل سنذهب الى المروج؟»
اجاب وهو ينظر اليها من وراء كتفه:«لماذا؟ اتريدين الذهاب الى الجبل؟» «لا ادري، لكنني اعتقدت اننا سنذهب نحو الخيول البرية.» وكمحاولة للتأكد، ضغطت بساقيها على الحصان، فاتسعت خطواته على الفور ولحقت بوالكر، قالت بفرح:«هاي، هذا حقا صحيح، تماما كما قلت. ضغطت عليه قليلا فأسرع في السير.»
اومأ والكر برأسه وقال:«اصغي إلي، ستايسي، وانا لن اخذلك.»

سارا جنباً الى جنب، اعجبت كيف يجلس على حصانه بقوة وفرح، قالت:«صحيح، ستهتم بي، اليس كذلك، والكر؟»
ببطء ادار عينيه وقال ببساطة:«بكمل طريقة ممكنة.»
فقرأت الكثير الكثير من جوابه.
ساد الصمت بينهما، فقال والكر وهو يربت على الحقائب:«يسعدني انك حضرت لنا الغداء، لاننا بحاجة على الاقل لساعة من الوقت لنصل الى المكان.»
«الى اين سنذهب؟»
نظر الى يمينه، ثم الى يساره، وكأنه لا يريد ان يستمع اليه احد، وهذا السر مضحك، لأنهما ابتعدا عن المزرعة مسافة كبيرة، وضع اصبعه على فمه وهمس:«الى مخيم للهنود.»
رفعت حاجبها وسألت:«حقا؟ وهل سألقاهم؟»
«لا، لقد كانوا هناك منذ مئات السنين، لكن جدة امي كانت صديقة لهم.»
شهقت ستايسي وقالت:«آه، والكر، انت تقصد ان هذه المزرعة تعود لكم منذ تلك الايام؟ لم اكن اعلم...»
«بالطبع.» وقاد حصانه عبر منعطف صغير، «في الواقع، انا الجيل الخامس من عائلة مارشال اعيش واعمل في بارام.»
بالطبع هو لا يريد ان تنتقل ملكية هذه المزرعة الى غيره. شعرت ان هناك ما يبرر مدى حاجته الى هذه المنطقة. فالمزرعة ميراثه، وتسري في دمائه.

قال متابعاً:«في احد الايام، احب ان ارى ان المزرعة ستصبح لأولادي.»
«عليك ان تتزوج اولاً.» قالت له وهي تحاول ان تحتفظ بصوتها هادىء. ثم انشغلت قليلا باللجام قبل ان تتابع:«هل فكرت في ذلك؟»
مال برأسه قليلا ثم قال:«لا، ليس بشكل واضح. لكنني في الثلاثين من عمري الان. واعتقد انه حان الوقت لأفكر بالحصول على زوجة. امرأة قوية، لتعطيني ابناء اقوياء.»
همست ستايسي:«بالطبع.» وشعرت بأحساس غريب انها حامل بأطفال من والكر.
نظرت اليه ورأته ينظر الى وسطها. هل قرأ افكارها؟ الدهشة اجفلتها، فتعمدت ان تبدو وكأنها تمسك باللجام في يدها اليسرى. القفازان اللذان قدمهما لها ناعمين ويحميان يديها بطريقة جيدة. عليها ان تشكره على ذلك.
«هذان القفازان رائعان، انا حقاً اشكرك.»
رفع كتفيه قائلا:«لا داع لذلك.» سمع صوت ما من السرج الذي يجلس عليه، فنظرت ستايسي اليه. لونه البني مزدان بحاشية من الفضة، قالت:«سرجك مختلف عن الآخرين، اليس كذلك، انه حقا جميل.»
مرر يده فوق الجلد برضى واضح وعلق:«انه من صناعة بيلي كوك روبر، لديه ربطتين مزدوجتين وهذا يساعدني على البقاء على الحصان عندما احاول اصطياد ثور. كذلك رأس السرج مرتفع اكثر من

غيره، وهكذا يمكن استعماله لعدة اعمال اخرى.»
سألت وهي تشعر بالفضول:«انه مدعاة كبرياء وفرح لك؟»
«بالطبع.» والتقت عيناه بعينيها وابتسما معاً.
تابعا السير، وكان والكر يشير نحو الاماكن الجميلة او بعض الحيوانات المختلفة. اخيرا، وصلا الى مجموعة من الصخور عند اسفل الجبل. رأت ستايسي جدولا يمر عبر الصخور، والمياه الصافية تصل الى بركة صغيرة.
قالت:«أه، كم هذا جميل.»
سألها:«اعجبك؟ هذا هو المخيم الهندي.» نزل عن حصانه، وسار نحوها. كانت تتساءل كيف ستنزل عن حصانها فليس هناك درج متحرك هنا ولا تستطيع ان تقفز كل هذه المسافة.
وضع والكر يديه حول خصرها:«هيا، سأساعدك، احني قدمك اليسرى فوق السرج، وسأنزلك بنفسي.»
هزت رأسها، ووضعت يديها على كتفيه، قال:«هكذا.»
وما ان لمست قدميها الارض، همست بصعوبة:«شكراً لك.»
حدق والكر بعيني ستايسي الزرقاوين وشعر بضيق شديد. عليه ان يتذكر انه اتى بها الى هنا من اجل هدف معين، ليكتشف ما الذي تريده فعلاً من مزرعة بارام. هل بدأت تفكر بالمشاركة في القرارات

المتخذة بشأن المزرعة؟ هل تعتقد انها تستطيع ان تبدل الامور والاشياء كما تحدث، وبالطريقة التي يعتمدها هو؟
بعد ان يحصل على الاجوبة التي يريدها، قد يتودد اليها. فلابد ان الارملة الجميلة لن تعارض مغازلته لها.
نظر اليها وهو يربط الحصانين الى شجرة فرأى انها تحمل الحقائب الى مساحة واسعة مليئة بالاعشاب، وبدأت بوضع غطاء ازرق اللون على الارض. جلست ونظرت حولها بفرح، قالت:«أه، والكر. لا اهتم ان كان هناك هنود، فهذه اجمل بقعة ارض رأيتها في حياتي.»
حتى ومن بعد ان شعر بسعادتها، اخذ يراقبها، على الفور تبدل مزاجه. ان المرأة تتمتع بحس فكاهي، وهذا أمر لا يفهمه جيدا. لكنه ليس بحاجة ليفهمها كي يقدرها. فكل ما فيها يعجب الرجل، انها أم جيدة، وعاملة قوية، ولطيفة مع الجميع. حتى معه، وهو لم يكن مهذبا معها بالتحديد.
تفاجأ وهو يشعر انه فعلاً معجب بستايسي. ربما قد تتعلم ان تحبه ايضا، سار نحوها وهو يشعر باضطراب في عواطفه. عليه ان يسيطر على نفسه، محاولا استجوابها، طالبا الحقيقة. والان هو الوقت المناسب. سألته وهي ترفع نظرها اليه:«هل يناسبك الدجاج المقلي؟» البراءة في عينيها تزعجه.
جلس وهو يقول:«بالطبع.» ها هما وحدهما اخيراً. وهو يبدأ بالتخطيط للهجوم.

«واحضرت ايضاً سلطة البطاطا، البرتقال، وأبريق من الشاي المثلج والحلوى.» مِن الواضح انها لا تعلم ما يريده، حضرت طبقا كبيرا من الطعام له وقدمته مع منديل ورقي وابتسامة. اخذه منها وازداد وجهه تجهما. الدجاج شهي، وسلطةٍ البطاطا رائعة، ليست مالحة او مطهية كثيرا، وبينما كان يأكل، وضعت جانبا طعامها وبدأت بإزالة قشرة برتقالة، ثم بتقطيعها.

تناول طعامه وراقبها وهي تأكل، وجد من الصعب عليه ان يصدق ان ستايسي تقوم بكل هذا المجهود لأجله. الى يمينها وضعت وعاء مليء بالحلوى. رأته ينظر اليه فقالت:«انه من الشوفان والزبيب. اتذكر انك قلت انك تحب هذا النوع.»

«اجل.» وضع جانبا طبقه ونظر اليها مطولاً. قريباً جدا سيحصل على اجوبةٍ منها لكن تصرفاتها تثير فضوله. لم يتعرف مطلقا على احد يهتم بتحضير الطعام الذي يفضله او ان يحاول اسعاده. التجربة بحد ذاتها مربكة له. وهو خائف، خائف ان لا تدوم.

«متى تسنى لك الوقت لتحضيرها؟ وتحضير هذا الدجاج الشهي؟»

«ليلة البارحة.»

«بعد العشاء؟ لا بد انك احتجت لكثير من الوقت. ما كان عليك القيام بكل ذلك.»

تورد خداها لكنها علقت ان لا داع للمبالغة.

قال وهو ينظر اليها:«ستايسي، ما الذي فعلته

بشأن عشاء الليلة؟ سنعود في وقت العشاء، لكن لن تحظي بالوقت الكافي لتحضيره. هل سيعد رودي العشاء؟»

هزت رأسها قائلة:«قلت له متى بالتحديد سيضع اللازانيا في الفرن، لا تقلق. ستسير الامور على ما يرام.»

«لازانيا؟ حضرت اللازانيا مساء البارحة ايضاً؟» اصيب بصدمة. لا بد انها نامت بعد منتصف الليل، وهي تطهو الطعام، كل ذلك من اجل ان تأتي معه في هذه النزهة البسيطة.

حدق في الجبال المحيطة، وهو يفكر. لم يدرك، عندما سألها ان ترافقه، انها ستقوم بكل هذا العمل المسبق لتتمكن من المجيء. وقد فعلت كل ذلك مِن دون ان تتذمر او حتى تذكر ذلك. لا بد انها فعلا ترغب في التواجد معه. انه بحاجة ليسألها العديد من الاسئلة، لكن لا شيء مهم اكثر من هذا الهدوء والاحساس بالود بينهما. وان ارادِ الصدق، فالحصول على اجوبة ليس امرا مستعجلا. ففي الغد او في الاسبوع القادم سيحصل على ما يريده. اما اليوم فهو يريد ان تبتسم له ستايسي، كما تفعل الان، وتهدهده بحنانها.

سألها:«هل انتهيت مِن تناول طعامك؟»

وضعت طبقها جانبا وقالتٍ:«بالطبع.»

«تعالي، اريد ان تري شيئا.» وضعا معاً كل ما تبقى في الحقائب. وعندما رزم كل شيء، وقف ثم امسك

بيدها، مرر اصابعه خلال اصابعها، وقادها نحو الجدول وشعر بسعادة وهي تسير بحماسة، وكأن اتباع خطواته امر طبيعي في هذا العالم.

لقد اتى الى هنا عدة مرات وهو طفل، وكذلك وهو بالغ، باحثا عن الآمان من هذا العالم البارد. وعادة هذا ما كان يجده، اما اليوم هو يريد ان يشارك هذا الاحساس مع ستايسي.

قفزا من صخرة الى صخرة فوق المياه حيث يتفرع الجدول، وعندما مرا فوق الشلال، جلس والكر على صخرة واسعة. وجذب ستايسي لتجلس بقربه. الابتسامة الدافئة لستايسي ملأته بفرح وسعادة. حفر الرمل في ثقب في الصخر وقال:«انظري، هذا هو المكان حيث عمل الهنود على طحن الذرة وتحويله الى خبز.»

«هذا امر رائع. انهم فعلاً عاشوا هنا. كم هذا أمر مثير للاعجاب.»

«لا ادري ان كان مثيراً، لكنه جدير بالاهتمام على ما اعتقد.» اعجب بطريقتها بالاستمتاع في هذا المكان الذي يحبه. اشعة الشمس تلون بشرتها بتوهج رائع، وعيناها الزرقاوان تشعان من الفرح. انها تبتسم وهي تحفر بالصخر كالطفل.

قال:«انا لا احضر الضيوف الى هنا، احب ان احتفظ به، كمكان خاص بي.»

«انت تقصد، انني الوحيدة التي احضرتها الى هنا؟» وعندما هز رأسه امسكت بذراعه وقالت:«اذن عملك

هذا يشرفني، والكر. هذا المكان سيبقى مهماً لي ايضا.»

ضمها اليه وعانقها، لم تكن تتوقع كل هذه الرقة والنعومة منه، لكنها لا تريد ان يعتقد ا نها امرأة سهلة المنال، قالت:«لا اعتقد ان علينا...»

ضمها اليه بقوة اكثر وربت على ظهرها وهو يقول:«لا تجفلي، عزيزتي. لن ادفعك للقيام بأي شيء لا تريدينه. فقط اريد ان اضمك إلي، وكأنك واحدة من الخيول لدي.»

تراجعت قليلا وابتسمت له:«والكر، انا لست واحدة من خيولك حيث يمكنك ان تلوح بمروحة او اي شيء آخر لتتمكن من السيطرة عليها.»

قال موافقا وهو يبتسم:«لا، انت لست حصاناً، لكنك تشبهين المهر. ان تحدثت اليك بنعومة ستأتين الي، اليس كذلك؟»

قالت له بصوت حذر:«والكر.»

«نعم، عزيزتي؟»

«ابتعد.» تلك الكلمة سمعتها كثيراً منه وهو يقولها لخيولها.

«اي شيء تقولينه، لكن عانقيني.» لم يكن ذلك طلباً، بل امرا، ولم تستطع ستايسي ان ترفض.

قالت:«نعم، نعم.»

عانقها من جديد. وهذا ما جعلها تتساءل ان كانت هي ووالكر سيحظيان بعلاقة حقيقية. علاقة رجل بامرأة والى امد طويل. فجأة شعرت بأن والكر

سيعطيها الامان. هذا الرجل الغريب القاسي والذي لديه حب للخيول لا يمكن وصفه قد يكون الحبيب المنتظر.

لقد قال انه يهتم بها. وهل تخيل مستقبل بينهما امر مثير للجنون؟ هي لا تعلم. فجأة سمعت وقع حوافر حصانين. سمعت صوت طفل يناديها. جلس والكر بينما اقترب جيم وجيوف منهما. تفاجأت ستايسي وتجمدت مكانها.

قال جيوف:«امي! لماذا كان يضمك اليه؟»لم تتمكن من ان تقول شيئا، لكن جيوف تابع:«اعرف السبب، انت ووالكر ستتزوجان، اليس كذلك؟

الفصل السابع

ردت ستايسي بسرعة:«لا، لا، جيوف، هذا لا يعني انني ووالكر سنتزوج.» نهضت عن الصخرة ووقفت قرب حصانه، ارادت ان تلمسه، لكنها لم تفعل، لأن يديها ترتجفان. وبدلا من ذلك، عقدت يديها معا وتابعت:«بني، العناق ليس بالضرورة ان يعني الزواج.»

قال وهو مرتبك:«آه.»

فجأة انفجر جيم غاضباً:«بالطبع لا.» حدق بوالكر وهو يتابع:«تذكرا، انتما كأخ وأخت. لا يمكنكما الزواج.»

قال والكر:«ومن الذي تحدث عن الزواج؟» وقف لكنه لم يغادر الصخرة.

لاحظت ستايسي انه يشد بقوة على قبضتيه. انحنى ليلتقط قبعته. ضربها على فخذه قبل ان يضعها على رأسه. وتابع:«بكل الاحوال، انا وستايسي لا قرابة بيننا، خاصة الدم.»

«احيانا الدماء تكون كثيفة اكثر من الماء، وأحياناً لا. اعتادت مارغريت على القول...»

صرخ به والكر:«وما الذي تعرفه عن امي؟ لم تكن تمضي اي وقت معها! بالكاد عرفتها! وعندما كنت معها، لم تكن زوجا جيدا.» تفاجأت ستايسي، فجأة بدا قاسيا وهو يواجه زوج امه بعداوة ومرارة.

www.elromancia.com

«لا تنتقدني، بني. لقد اعتنيت بها، هل تسمعني؟»
هز والكر رأسه وقال:«لا، كانت ضعيفة وحساسة. وأنت سيطرت عليها. كنت قويا جدا.»
حدقت ستايسي بوالكر وهي تشعر بالدهشة من الغضب الصارخ بين الرجلين. تذكرت ان جيوف قربها وعليها ان تبعده عن هنا، فهو يصغي باهتمام طفل فضول كالعادة واقتربت لتمسك لجام حصانه.
قال جيم:«احتاجت امك لرجل قوي لذا تزوجتها، كانت بحاجة لرجل قاس بما فيه الكفاية ليبعد المزرعة عن حدود...»
ازداد وجه والكر تجهماً وقال بتوتر:«حدود ماذا؟»
ومن دون ان يبعد نظره عن عيني والكر، اشار جيم بذقنه نحو ستايسي وقال:«هي تعلم.»
رفعت ستايسي يدها الحرة وقالت:«لا تدخلاني في نقاشكما، فأنا لا اريد اي جزء من هذا الجدال المزعج. سأعيد جيوف الى المزرعة.»
«انتظري.» قفز والكر عن الصخرة ووقف في طريقها، احساس الفرح والهدوء والامان ذاب في اعماقها وهي تنظر الى وجهه الغاضب، تابع بخشونة:«اخبريني، حدود ماذا؟»
تنهدت وهي تعلم انه لن يسمح لها بالذهاب حتى تجيبه:«اخبرني جيم ان هذه المزرعة كانت على حدود الافلاس والبيع في المزاد العلني عندما تزوج امك. والان اترك ذراعي. انت تؤلمني.» هل هو ذات الرجل

الذي كان يضمها بنعومة منذ لحظات قليلة؟ تجهم وجهها من تعابير الذهول على وجهه سألته:«انت حقا لم تكن تعلم؟»
«الافلاس؟ لكن كنا دائماً نملك الكثير من الماشية، فهناك الكثير من الطعام والماء. كما واننا بدأنا في قسم استقبال الضيوف في المزرعة...»
اكمل جيم:«في ذات السنة، انشأت ذلك القسم لأتمكن من إعانة المزرعة، اسعار اللحوم كانت تتدنى، وعانت المنطقة هنا خمس سنوات من الجفاف، وكان سيتم اغلاق هذا المكان، ليصبح ملكا للبنك، لكنني تزوجت من امك، كما رغبت، وعملت بجهد كبير لأعيد هذا المكان الى سابق عهده. وقد فعلت ذلك بالتأكيد.»
شحب وجه والكر. استدار وسار كرجل اعمى نحو الحصانين. ساعد ستايسي لتمتطي جوادها وسار امامها من دون ان يتفوه بكلمة. راقبته ستايسي مندهشة، لكنها فكرت انه من الافضل له ان يفكر بما سمعه من دون اي تعليقات. ولم يتحدث معها ولا مع احد آخر طوال النهار.

* * *

واجهت ستايسي جيم صباح اليوم التالي:«دعني افهم، لماذا انت ووالكر على شجار دائم؟ ألا تدرك كم انتما محظوظان لوجودكما معاً؟ يجب ان تكونا صديقان مقربان جدا.»
نظر الرجل الجالس على كرسيه المتحرك وراء

مكتبه نحو النافذة، وقال بصوت لا يشبه صوته ابدا:«اعتقد... لا استطيع تفسير الامر. انا ووالكر نتشاجر باستمرار.»

تابعت ستايسي بإصرار، مصممة ان تحصل على الجواب الشافي:«لماذا، جيم؟ عندما كانت صغيرا، لم يطع اوامرك؟ هل كان كسولا ويتهرب من العمل؟»

نظر جيم الى وجهها وقال:«آه، لا، كان يزعجني كثيرا، لكنه لم يتجنب اي عمل. كان يحمل مسؤولية نفسه.» ضحك وهو يتذكر:«في الحقيقة، العكس صحيح، كان دائما يرغب في القيام بالمزيد من الاعمال، ليتعلم اكثر. هل اخبرتك عما فعله عندما كسرت وركي بحادث؟»

تمتمت، وهي تجلس براحة على كرسيها، لتعرف المزيد:«لا، اخبرني.»

«حسنا، لقد حدث ذلك منذ خمسة عشر او عشرين عاما، عندما كان والكر في سن المراهقة. بعد مرور عدة اسابيع من البقاء في المنزل، قررت انني اريد امتطاء الخيل، غير ان هذا امر مستحيل، خصوصا انني اردت امتطاء حصان رائع، كان يدعى تروبل.»

نظرت اليه باستغراب وقالت:«آه، هل سمح لك الطبيب بمعاودة العمل.»

ضحك مرة ثانية وقال:«لا، ليس بالتحديد. مارغريت منعتني لفترة او على الاقل لاسبوعين. لكن في ذلك الوقت، اصبحت كالمجنون وقررت ان امتطي الخيول

مهما كلف الامر، لكن والكر عمل على تدريب تروبل.»

«تدريبه على القيام بماذا؟»

«حسنا، كان الحصان دائم الحركة ولا يقف بهدوء مطلقا. ويقفز باستمرار ولهذا اسميناه تروبل اي مشكلة.»

قالت بفقدان صبر:«وماذا فعل والكر؟»

«دربه ليجثم لأتمكن من الصعود اليه، وان يسير ببطء واشياء اخرى.»

سألته بلطف:«كلاهما عمل كل ما في وسعه ليجعل الامر اسهل عليك؟»

رفع كتفيه وقال:«هذا ما اعتقده، لكن كان علينا ان نبدل اسم الحصان. فهو لم يعد يثير اي مشكلة بعد ذلك.»

زفرت ستايسي بشدة. فقد علمت سبب الألم والارباك الذي يشعر بهما. فهو يقوم بأعمال جيدة للناس، من دون ان يطلب اي شكر.

والكر رجل جيد، والفكرة هذه اصبحت امراً مؤكداً بالنسبة اليها. فهو يمضي ساعات طويلة مع جيوف، ويحضر لها هدايا غير عادية. ربما ليست عطورا كما وانه يهتم حقا بجيم، هي تشعر بذلك، وهكذا عليها ان تبذل جهدا لإزالة الخلاف بينهما.

«الن يكون من الافضل ان تفعل شيئا ما جيداً له؟ فقد يساعد ذلك على توطيد العلاقة بينكما.»

تجهم وجهه وقال:«ربما، ما الذي تفكرين فيه؟»

ابتسمت وعلقت:«لا ادري، ما رأيك؟»
رفع جيم كتفيه مرة ثانية وقال:«انه ماهر جداً في التعاملِ مع الخيول، انا اعترف له بذلك.»
«حسنا، هل قلت له ذلك؟»
«لا.»
«لم لا تطري على عمله؟ وتقول له انك تقدر مجهوده. وتدعه يرى أنك معجب بعمِله.»
وضع يده على ذقنه مفكراً وقال:«لا اعلم.»
نهضت وهي تقول:«هيا، لن تموت بسبب ذلك. اعدك.»
نهض وسارِ وراء مكتبه ليمسك بذراعها:«اعتقد انك جيدة جدا بالنسبة إلي. فانت تعملين على تحسين صورتي امام الجميع. يسعدني انك ستعشين هنا.»
قالت تصحح له:«اسمع جيم، قلت انني سأبقى حتى عودة ميريام. وسأقرر فيما بعد ما الذي سأفعله.»
ربت على يدها وقال:«بالطبع ستفعلين.»
بعد العشاء تفرق الضيوف، لكن جيم انتظر حتى رمى والكر منديله على الطاولة ونهض، رأى ستايسي تقف قرب المدفأة، فقال له:«هل عملت على شحن الخيول البرية؟»
توقف والكر قرب الباب، قال:«نصفها شحنت. وبكل الاحوال سيعمل مكتب حماية البيئة على شحن الباقي في الاسبوع القادم.»
«خبر جيد.» هزّ والكر رأسه وأمسك بالباب. اشارت ستايسي لجيم باصرار ليتابع فقال:«آه، والكر؟

رأيتك تعمل على حصان دان فولر، ذلك الذي يسقط باستمرار؟»
«نعم، انه ليس بمزعج، لكنه عنيد. هذا كل ما في الامر.»
سأل جيم:«بكل الاحوال، هل تمكنت من السيطرة عليه؟ لقد رأيتك تعمل عليه لفترة طويلة.»
دافع والكر عن نفسه بسرعة:«لكنني لم اضيع اي وقت على الضيوف او عن الاعتناء بخيولنا، عندما اساعد احدا، هذا لا يؤثر مطلقا على بارام.»
«لم اقل انك تفعل، لكن ان كنت سأنتقد عملك، فسأفعل. بشأن تلك الخيول البرية ارى انك مغرم بها.»
قال والكر بعناد:«حسناً، يجب ان يهتم بها احد ما، ومن المؤكد انك لا تهتم لها البتة.»
تدخلت ستايسي قائلة:«والكر.»
رد جيم بغضب:«لا، ولِمَ يجب انْ اهتم؟» تجاهل ستايسي التي كانت تهَز رأسها وهي تشعر بقلبها يغوص. هل سيبقى هذان الاثنان هكذا؟ لا يثقان ببعضهما. تابع:«كل ما تفعله تلك الخيول هي سرقة المهر من مزرعتنا، وعلى الاقل امسكنا بذلك الحصان، الاسوء منها جميعا.»
قال والكر:«ريدج فاير قفز حاجزاً بعلو ستة اقدام، وانا لم اتركه يرحل. غير انه لن يحاول الهرب مجددا لأن كل انثاه معه.»
«خبر هام.»

فتح والكر الباب وقال:«اهتم انت بالضيوف، واترك امر الخيول لي.»
نظر جيم اليه بغضب، بينما تعمد والكر على اغلاق الباب بقوة، عضت ستايسي على شفتها وقالت بضيق:«آه، انتما احمقان حقا.» وغادرت ناحية المطبخ.

* * *

لاحظت ستايسي ان ابنها اصبح اسمر البشرة وهو يجمع الاوراق من تحت شجرة سنديان. بينما انشغل صبيين آخرين بوضع الورق في اكياس كبيرة. سعادة جيوف وتحسن صحته هما ثمرة العيش هنا، حتى انه اصبح اطول، وهما لم يمكثا في المزرعة اكثر من عدة اسابيع. ربما حرارة الشمس والتمارين، وانتباه والكر تصنع العجائب لابنها.
تنهدت، من اضطراب العواطف في صدرها. فعلاقتها مع والكر متقلبة فهو لم يحدثها منذ ذلك النهار. مع انها تشعر بعينيه تتبعانها.
اقترب منها جيوف وامسك بيدها:«سنذهب لرؤية ريدج فاير، يمكنك القدوم، ايضا.»
«هل استطيع، حقا؟» قالت تمازحه وهي تحرك يده. وضعت قالب حلوى بالجزر في الفرن، لا بد انه بحاجة الى ساعة من الوقت ليصبح جاهزا. قررت ان لديها ما يكفي من الوقت لتمضيه مع جيوف.
وراءهما، كان هناك بيلي وصبي آخر، انحنت وهمست:«بني، الن تعرفني على هذا الصبي؟»

«بالطبع، هذا تاد، اتى اليوم بعد رحيل ذلك الولد القبيح وصديقه. تاد صديقي، وصديق بيلي، ايضا.» دفع جيوف تاد الى الامام وقدمه الى أمه، كان صغيرا بعمر ابنها كما وانه رياضي ومرح ايضا.
قال بخجل:«مرحبا.»
«مرحبا.» هزت ستايسي يده وتابعت:«اهلاً بك في بارام. يسعدني انك صديق جيوف. اعتقد انك ستسعد هنا. لدينا افضل طعام في المنطقة.»
ضحك بيلي، فعلق جيوف:«آه امي، دائما تقول ذلك، فهي الطاهية.» وسار مبتعدا هو وصديقيه.
قالت تناديه:«رئيسة الطهاة.» لحقت بهم عندما وصلوا الى الاسطبل، ولمعت عينا جيوف بفخر لدى رؤية ريدج فاير.
قال جيوف بحماس:«اليس رائعاً؟ انه افضل حصان في العالم كله.» وتابع بعد قليل:«وفي يوم ما سأمتطيه.»
اتسعت عينا تاد وقال:«حقاً؟»
قال بيلي:«لا اعتقد ذلك، قال والكر انه حصان سيء جدا.»
«حسناً، وان يكن سأمتطيه.»
راقبت ستايسي كيف رفع جيوف ذقنه بتحد، وضعت يدها على رأسه وقالت:«جيوف، انت تذكر وعدك لي ولوالكر.»
حدق جيوف بحزن في المهر وقال:«صحيح.»

سار الى الامام وحمل رزمة من العشب ورماها من بين السياج، نادى الحصان الذي كان يسير بعصبية في نهاية الزريبة.

اقترب والكر من المخزن، وقف امام جيوف وقال له:«هل ترى كيف يدير ظهره، لكن اذنيه متجهتان نحوك؟»

«نعم، ارى ذلك.»

«هذا يعني انه يعلم اننا هنا، لكنه يهيننا. ولن يهتم لنا مطلقا.» انحنى ووضع يده على كتف جيوف وتابع:«آسف، بني. لكنني قلت لك من قبل، انه حيوان فاسد.»

حرك جيوف شفتيه بعناد.

قال والكر بلهجة فقدان صبره:«لقد اصبح اكثر سوء، ولا يمكن معالجته. عاجلا ام آجلا، ستتقبل ذلك.»

وقف الولد بعناد وقال:«ربما عاجلا ام آجلا سيريدني ان اربت عليه.»

هز والكر رأسه:«جيم سيعطيه الى مكتب حماية البيئة الاسبوع القادم، وانا افكر في الموافقة على ذلك.»

صرخ جيوف على الفور:«لا، لا يمكنك القيام بذلك. سأجعله اليفا، اقسم لك. لا تبعده عن هنا.»

رفع والكر نظره، فالتقت عيناه بعيني ستايسي، ورأى التجهم على وجهها. ها هي ترغب في ان تضم ابنها اليها وتحميه من كل سوء. لكن مع وجود صديقيه، لن تقدم على ذلك. فها هو على وشك البكاء، ولا ترغب في اذلاله الان.

تقدمت نحو والكر، ووضعت يدها على ذراعه، قالت:«هل عليك التخلص منه بهذه السرعة؟ الا تستطيع الاحتفاظ به لفترة اطول؟»

«لن يحدث ذلك اي فرق.» وقف الكاوبوي وحدق بها.

«ربما سيرى جيوف بنفسه انك على حق.» وضغطت قليلا على ذراعه وقالت:«من فضلك.»

دفع قبعته الى الوراء وقال بمرح:«حسنا، لا اعتقد اننا بحاجة لنتخلص منه الان.»

اقدم جيوف على القفز على الفور بمرح، فتبعه الولدين، وأخذوا يرقصون على العشب كالهنود.

رفع والكر يده قائلا:«لكن، عليكما ان تعداني كما فعل جيوف، لا يدخل احد منكم الاسطبل.»

«لن نفعل.» وأسرعوا جميعا نحو المخزن ليستعدوا لنزهة بعد الظهر. ضحك والكر بصوت عال، قالت ستايسي:«شكرا لك، والكر. انا ممتنة لك للاحتفاظ بريدج فاير.»

وضع اصبعه تحت ذقنها وقال:«هذه خدمة مهمة طلبتها. علينا ان نطعم ذلك الحصان قش غالي الثمن كل يوم، ولا نستطيع ان نستعمله لأنه سيهرب. ولن نتمكن من استعمال الاسطبل طالما هو فيها.»

«انت كريم جدا، شكرا لك من جديد.»

قال:«لست كريما بما فيه الكفاية.» ومرر اصبعه على خدها.

تفاجأت قائلة:«ماذا تقصد انك لست كريماً بما فيه الكفاية.»

«اقصد، اريد اكثر من امتنانك. شيء ملموس.»
«وما هذا الشيء؟» لم تكن تشعر الا بلمسة اصبعه على وجهها.
قال بصوت ناعم يؤثر به على الخيول:«شيء صغير، كقبلة، ستايسي. من اجل بقاء ريدج فاير هنا.»
رمشت بعينيها وقالت:«لا، لن اقبلك من اجل حصان.»
«وماذا من اجل ابنك؟ بقاء الحصان هنا سيسعده، اليس كذلك؟»
هزت رأسها لتتخلص من الاحساس الذي تشعر به نحوه، اعترفت قائلة:«هذا يسعد جيوف بالطبع، لكنني لا اشعر انني اوافق على المساومة. فهذا عمل سيء.»
همس:«لكنه شعور جيد، عزيزتي.»
قالت وهي تبتعد عنه:«لا، ليس هنا، وليس الان.»
«متى؟»
«الاسبوع القادم.» هز رأسه رافضاً، فعضت على شفتها وقالت:«حسنا، غدا.»
قال مبتعداً:«الليلة.»
في وقت العشاء كانت ستايسي متوترة، خصوصاً من نظرات والكر. وكبداية، ادركت ان جيوف يطرح عليها سؤالا، فأجبرت نفسها على الاستدارة وهي تقول:«آسفة، جيوف، ما الذي تقوله؟»
«قلت، ان والكر سيأخذني غدا الى مصارعة الثيران.» كان يجلس بتعب، وتكاد عيناه تغمضان. لاحظت ستايسي انه لم يأكل شيئا.

قال جيم:«كل، بني.»
تجهم وجهها وقالت وهي تضع يدها على جبينه لتتأكد انه لا يشكو من اي حرارة:«جيوف، هل تشعر بأي سوء بني؟»
«لا، امي. انا لست متعباً.»
ضحك جيم وقال:«حياة المزرعة ليست سهلة، اليس كذلك، بني؟»
اصر الولد:«انا لست متعباً.» فضحك والكر ايضاً.
تجهم وجهها وقالت بقلق:«رأيتك تجمع اوراق الشجر اليوم، ثم ذهبت بنزهة لعدة ساعات، وما الذي فعلته ايضاً؟»
قال:«غسلت عدداً من الخيول، ثم حاولت انا وبيلي وتاد اصطياد السمك في الجدول الصغير قرب المنزل، لكننا لم نصطاد اي سمكة.»
سأل والكر:«وماذا عن الاسطبل الذي ساعدتني على تنظيفه؟»
ابتسم جيوف وقال:«صحيح، نسيت ذلك. كما وانني نظفت السروج.»
«لا عجب انك مرهق.» استدارت ستايسي نحو والكر. وتابعت:«اعتقد انه يبالغ في العمل، من الان وصاعدا اريده ان يعمل لساعات اقل، اتفقنا؟»
قلل والكر من اهتمامها قائلا:«جيوف بخير، انه يرغب في النوم بعد نهار عمل. انت تدللينه كثيرا.»
«لا، لا افعل...»
علق جيم:«والكر على حق، لا داع لتدليله كثيراً،

سنضع عليه فستاناً ان استمريت في قلقك عليه.»
قالت بحزم:«هذه نظرة متعصبة جداً للرجال. جيم.»
قال جيوف، وقد استيقظ تماما:«لا ارتدي اي فستان.»
قال جيم وهو يضع يده على رأس الطفل:«بالطبع، بني. كنت امزح فقط. انت مساعد في المزرعة الان، وهذا عمل رجل.»
«انا راعي ماشية صغير.»
علقت ستايسي:«كلام رائع، لكنني لا اريد ان يبالغ جيوف بالعمل. انه في العاشرة من عمره فقط.»
وضعت جيوف في سريره رغم اعتراضاته، وبقيت قربه ترتب الغرفة. استسلم للنوم في دقائق قليلة، تجولت في الغرفة، كي تتجنب رؤية والكر.
عادت الى المطبخ وقد ادركت انها نسيت ان تقدم الحلوى. امسكت بالمئزر وربطته حول خصرها.
رأت ان الصينية قد وضعت على لوح التقطيع وقد تم تناول نصف القالب. تنهدت فلا بد ان رودي قد اكلها.
سمعت صوتاً من ورائها:«جائعة؟»
استدارت، ووجدت والكر يتكيء على حاجب الباب، سار نحوها وهو يقول:«انا ايضا لم اتناول الحلوى، كنت بانتظارك.»
ابتلعت ستايسي غصة بصعوبة، فهو هنا للحصول على وعدها. استدارت لتشغل نفسها بشيء تفعله، قطعت قطعتين من الحلوى ووضعتهما في طبقين.

احضرت شوكتين من الدرج، وسكبت فنجانين من القهوة.
«اذا فتحت الباب، يمكننا ان نجلس في غرفة الطعام.» وحملت الطبقين في يديها.
اومأ برأسه رافضا:«لا المكان مريح هنا.» وجلس الى الطاولة وهو يتابع:«آه، اسمعي، ان اردت يمكننا ان نخفف العبء عن جيوف، لقد كان متعبا حقا الليلة.»
«حسنا، شكراً لك.»
قال وهو يأكل من الحلوى:«الحلوى شهية. احب الكريما المثلجة، لم اتذوق مثلها من قبل.»
«صنعتها من الجبن، ولا استطيع تصديق انك تناولتها بهذه السرعة، هل تريد المزيد؟»
«بالطبع، هل تقدمين لي قطعة من حصتك؟» نظرت الى طبقها فهي لم تتناول اي قضمه بعد. قالت:«والكر توقف عن المزاح، لم لا تعانقني وننتهي من الامر؟»
قال:«لا، سنجلس في غرفة الجلوس قرب النار.»
وعندما ترددت وضع يده تحت كوعها ودفعها نحو الباب.
في غرفة الجلوس كانا بمفردهما، وحتى جيم قد ذهب الى غرفته. فكر والكر، مؤخرا لم يعد جيم قويا كما كان في السابق، كما وانه اكثر شحوبا، ايضا.
هز والكر رأسه، فالرجل العجوز سيحيا اكثر منهم جميعا.
جثى قرب المدفأة، وحرك النار بعصا قبل ان يضع

قطعة من الخشب. احترق الخشب ولمعت السنة النار، نظر والكر اليها، كانت تقف قرب الصوفا، قال بصوت اجش:«تعالي الى هنا.»
«والكر... انها ليست بفكرة جيدة.»
«من فضلك، اجلسي هنا قرب النار، عزيزتي.»
ابتسمت وقالت:«ما زلنا في فصل الصيف، هل تستعملون المدفأة طوال السنة؟»
«عندما يكون الطقس باردا في الليل.» لم يستطع ان يبعد نظره عنها. انها جميلة جدا وناعمة. ومجرد النظر اليها يثيره. وبدلا من التودد اليها قال:«اصبح لدى جيوف اصدقاء من عمره، انه يلعب في المكان تماما كما كنت افعل في صغري. واعتقد انه حقا معجب بالمكان هنا.»
قالت:«معجب بالمكان، انه يحبه بجنون، وانا ايضاً يعجبني.»
«هذا امر جيد.»
نظرت الى وجهه وقالت:«اعتقدت انك لا تريدنا هنا، والكر. لقد قلت بوضوح انه عليّ المغادرة في اقرب وقت ممكن.»
رفع كتفيه وقال:«جيوف ولد طيب، وانت ايضاً طاهية ماهرة.» حاول من جديد:«بكل الاحوال، اعتقد انني موافق ان بقيتما هنا لفترة اطول.»
«فترة؟ هل هذا ما تفكر فيه؟»
«بالطبع، ربما لعدة اسابيع او اشهر.»
هزت رأسها بدون اي حماس:«اسابيع او اشهر، فهمت.»

قال لها بهدوء:«اعتقدت ان هذا ما تفكرين فيه.»
عضت على شفتها وقالت:«وبدون اي ارتباط بيننا، وبدون اي تفكير بالمستقبل.»
قال وهو يحاول ان يهدأ من غضبه:«عمّا تتحدثين؟ قلت انك سعيدة بالبقاء هنا، فلما لا نتفق معا، انا وانت نستطيع الاستفادة من الوضع الراهن، ولا يمكنك الانكار اننا نريد بعضنا البعض، فأين المشكلة في إقامة علاقة؟»
رمشت ستايسي بعينيها بسرعة:«مجرد اتفاق؟ هل هذا ما تفكر فيه بشأننا؟ علاقة بيننا كاتفاق؟»
حدق بها وقال:«لا! حسنا، نعم، كما يقال، واين الخطأ في ذلك؟»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

سألها والكر في صباح اليوم التالي، بينما كانت ستايسي تحضر الفطور:«هل انت جاهزة؟» اطل برأسه من باب المطبخ، يبدو مستيقظا تماما، وقد حلق ذقنه ومرتديا قميصا زرقاء للعمل. وقد ارخى قبعته على ظهره.

«جاهزة من اجل ماذا؟» لا تستطيع ان تخفي شكوكها. فليلة البارحة تركته في غرفة الجلوس وعادت الى غرفتها غاضبة وحزينة. فبعد ما قاله البارحة عن افتراضه لإقامة علاقة بينهما، بالكاد تستطيع ان تتكلم معه.

«من اجل دروس امتطاء الخيل، الا تذكرين؟»

«لا اعتقد انني اريد اخذ دروس لامتطاء الخيل، معك والكر.» تابعت مزج الطحين والسكر لاعداد الحلوى.

بقي صامتاً وهذا اثار دهشتها، توقعت ان يتابع الشجار معها، او على الاقل ان يطلب تفسيرا لرفضها. نظرت اليه، فرأته يقف هادئا.

ضعف غضبها منه، وكادت ان ترفع يدها لتلمسه، ثم تذكرت ما قاله البارحة :لا يمكنك الانكار اننا نريد بعضنا، فأين المشكلة في إقامة علاقة عاطفية؟

لا، لن تحاول ان تخفف عنه. ان كان يشعر بالسوء، فهو رجل قوي، وبإمكانه الاعتناء بنفسه جيدا.

احنت رأسها وأضافت البندق واليانسون من دون ان تنظر اليه. علمت انه يراقبها، وهذا يزعجها ويجعلها مضطربة، لكنها لن تنظر اليه. فهي لا تريد ان ترى ان كان هناك ألم في عينيه. بعد قليل شعرت به يغادر الغرفة. بعد مرور عدة دقائق، صراخ ولد يسقط عن ظهر حصان وصل الى اذنيها، رغم صوت المياه المتدفقة من الحنفية. احتاجت للحظات كي تجفف يديها وتركض عبر غرفة الجلوس لتصل الى الخارج.

من الدرج الامامي تستطيع رؤية الزريبة الاولى، رأت حصانا عليه سرج، وجيوف ملقى على الارض يبكي.

اسرعت ستايسي نحوه وجثت على الارض وهي تقول:«جيوف يا للهول؟ هل تأذيت؟»

لم يستطع جيوف ان يجيب بسبب البكاء، فأخذت ستايسي تمرر يديها عليه لترى ان كان هناك اي عظام مكسورة، لم تجد شيئا، لكن هذا لا يعني انه ربما مصاب بجروح.

سمع صوت قاس من فوق رأسيهما:«هذا يكفي.» تفاجأت ستايسي ورفعت رأسها لترى والكر ينحني ويضع يده القوية على ذراع جيوف ويرفعه على قدميه وهو يتابع:«هيا، توقف عن البكاء الان. جميعنا نسقط عن الجواد في بعض المناسبات.»

وقف جيوف والدموع تنهمر على وجهه. حاول ان يتكلم من جديد، لكنه لم يستطع الا التنهد بقوة.

وقفت ستايسي وهي تساعد ابنها على الوقوف بشكل مستقيم، قالت لوالكر بصوت مرتجف:«قد يكون تعرض لجروح داخلية، ماذا تعتقد انك تفعل، وانت تعامله بهذه الطريقة؟»

وقبل ان تتمكن من القيام بأي عمل، سحب والكر جيوف بعيدا عنها وحمله الى الحصان، والذي كان قريبا منهم. فكرت، ان والكر غاضب لأنها رفضته، لذلك يريد الشجار معها ومع ابنها.

وضع الصبي على السرج، فأمسك جيوف برأس السرج وقال وهو يصرخ:«لا، لا، لا استطيع.»

رفعت ستايسي يديها لتأخذ ابنها الذي دفع نفسه اليها، وقبل ان تتمكن من لمسه، وقف والكر بينها وبين ابنها، قال بصوت حاسم ولا ذرة من الاعتذار فيه:«اعذريني، لكن درس جيوف لم ينته. ان اردت المراقبة، يمكنك الجلوس على حافة السياج.»

صرخ جيوف:«امي!»

ضغطت ستايسي على اسنانها بقوة وقالت:«والكر ابتعد عن طريقي.»

لكنه بقي مكانه وكأنه لم يسمعها. انه يتصرف وكأن لديه الحق في نقض قراراتها. امسك باللجام ودفعه الى يدي جيوف ثم استدار نحو ستايسي. امسك بذراعها، وقادها بقوة نحو السياج، ضم خصرها بيديه ورفعها الى الحافة رغم كل الاعتراضات منها ومن جيوف.

صرخت به:«كيف تجرؤ، انت لست والد جيوف، ولا

كلمة لديك في حياته. افهم ذلك، والكر مارشل. انا امه ولا اريد...»

«هس.» قال ذلك وقفز ليجلس قربها:«جيوف، والان ابدأ بجعل الحصان يسير قليلا. هذه المرة، امسك باللجام جيدا ولا تدعه يتحرك كثيرا.»

لم يتحرك الصبي مطلقا، بل استمر في البكاء.

عضت ستايسي على شفتها وشعرت برغبة في البكاء هي ايضا. ادركت انه لا يعاني من اي الم جسدي، لكن سقوطه عن الحصان، وهذا امر مهم جدا له، افقده الثقة بالنفس التي كسبها اثناء وجوده هنا. لقد عاد ذلك الولد الضعيف الخائف الذي كان.

امتلأت عيناها بالدموع، لا شيء سيساعد ابنها، وهل الحيوية والطاقة التي عاشها هنا في الصيف مجرد قناع لمشاكله الداخلية؟ اتخذت قرارها، ستأخذه الى محلل نفسي، فهو بحاجة لعلاج ما، ولن تؤخر الامر اكثر من ذلك.

سمعت والكر يقول:«توقف عن البكاء.» حدقت بالرجل بغضب، ولو فكرت للحظة انه سيسمح لها بمغادرة مكانها لكانت قفزت على الفور. لكنها تعرف ما الذي سيحدث لو فعلت. تجاهلها من جديد وتابع:«والان افعل كما اقول لك، اضغط باللجام قليلا حول فمه. دعه يعلم من السيد هنا، لكن لا تؤلمه.»

بدأ جيوف بالقول:«لا اريد...»

تابع والكر بصوت ناعم:«الخيال الماهر يعلم كيف يقنع الحصان ان هذه هي افضل طريقة للتعامل

بينهما. عندما سيريد ان يفعل كما تقول له. هكذا نعلم الخيل ان تثق بنا. والان اضغط قليلاً على جسمه، وها هو يسير.»

استدارت ستايسي لتنظر الى ابنها الذي كان يعمل حسب ارشادات والكر وقد خفت تنهيداته.

اخفض والكر صوته وتابع:«سيأتي سكوتي وبيلي قريبا، وسأعطيهم دروسا ايضا.»

نظر الصبي حوله، وتوقف عن البكاء نهائياً. تماماً كما اراد والكر. من الطبيعي، ان الصبي لا يرغب في ان يراه اصدقاؤه يبكي كالاطفال.

ولعدة دقائق اخرى راقبت كيف تابع والكر اعطاء النصائح لابنها. تعجبت من استجابة جيوف لأوامر والكر، وأخيرا جلس على السرج وهو يبدو سعيدا جدا.

خف غضبها من والكر واعترفت بخشونة:«خلصته من البكاء، لكنني لا ارى سببا لمعاملته بهذه الطريقة القاسية. انه مجرد صبي صغير، اكبر بقليل من طفل.»

لم ينظر اليها والكر، بل ابقى عينيه على الصبي وهو يقول:«صبي في العاشرة من عمره ليس بطفل، وكيف سيصبح رجلاً ان استمريت في التدخل في اي مشكلة تواجهه هكذا؟»

لم تجب. ولم ينتبه والكر للأمر، بل تابع:«كل مرة تصعدين فيها على ظهر حصان، عليك ان تدركي انك قد تطيرين عن ظهره.»

«عندما ذهبت في النزهة، كنا نسير فقط، ولم اكن في اي خطر، اليس كذلك؟»

رفع كتفيه وقال:«لن استعمل كلمة خطر، بالتحديد.»

قالت تتحداه:«وماذا عنك الخيال، الشهير، والكر مارشل؟ لا اعتقد انك سقطت يوما عن ظهر حصان؟»

«يحدث ذلك لي ايضاً، لكن ليس بشكل دائم.»

لم تجب على ملاحظته المتفاخرة، استدارت وحدقت بابنها، الذي كان يبتسم الان وهو سعيد جدا لوجوده على ظهر الحصان، وقد نسي تماما سقوطه اول الامر.

هل هي حقاً تدلله كثيراً؟ ربما، وقررت انه ليس بحاجة للاستشارة من قبل محلل نفسي، باستطاعتها ان تؤجل الزيارة الان.

* * *

خلال الايام الثلاثة التالية، طهت ستايسي وعملت على تمضية المزيد من الوقت مع جيوف، محاولة ان تتجاهل والكر، ورد فعلها كلما رأته. ومع انها علمت انه لا يريد منها الا علاقة عابرة، فهي غاضبة من نفسها لأنها تشعر بالشوق اليه وبالتوتر كلما رأته.

ولو لم يكن من اجل سعادة جيوف وتقدمه في كل مجال، لكانت فكرت فعلا في الرحيل الى لوس انجلس. فهي لا تثق بعاطفتها تماما كما لا تثق به. ابنها في العاشرة فقط، ويحتاج الى احد عشرة

سنة ليتمكن من الحصول على حصته في المزرعة شرعيا، وربما مات جيم قبل ذلك الوقت. تنهدت ستايسي، وحملت من سلة الفاكهة امامها، ستة تفاحات خضراء كبيرة كانت قد احتفظت بها لتصنع منها فطيرة تفاح. تمنت ان يعيش جيم عشرين سنة مقبلة. فقد اصبحت تقدر عاطفة هذا الرجل القاسي، كما وانه رائع مع جيوف.

قررت ان تذهب الى غرفتها لتغسل وجهها وتسرح شعرها. فمازالت الساعة الثالثة ولديها متسع من الوقت لأعداد الفطيرة وتقديمها كحلوى بعد الدجاج وحساء الخضار اللذين اعدتهما للعشاء.

تركت التفاح على الطاولة وسارت نحو الباب عندما ظهر والكر امامها قال من دون اي مقدمات:«نحتاج لنتحدث مع بعضنا.»

قالت بضيق:«ليس هناك ما نقوله لبعضنا.»

بدا غامضا ووسيما جدا وهو يقف في طريقها، نظرت اليه وتذكرت عناقه.

«اعطيتك ثلاثة ايام لتتخلصي من جنونك، ستايسي. وهذه مدة كافية سئمت من تجاهلك لي.»

لم تجرؤ على النظر الى عينيه الساحرتين، قالت له وبصعوبة:«والكر، اعتقد اننا تفاهمنا، اليس كذلك؟ انت تريد علاقة عابر.»

«لا، ليست عابرة.»

«حسنا، لكنني لا اقيم علاقات مع احد.»

تريدني علاقة الى الابد.»

ارتجف صوتها، فهناك خطورة في الاعتراف بذلك، قالت:«نعم، اعتقد هذا ما اريده.»

«فما هي المشكلة اذن؟ انت هنا وستبقين هنا، اليس كذلك؟»

مرت امامه ذاهبة الى غرفتها. فبعد دقيقة واحدة لن تكون مسؤولة عن تصرفاتها. لم تصفع احدا في حياتها، لكن غضبها القوي سيدفعها الى ضربه على الفور.

اغلقت الباب واتكأت عليه. اغمضت عينيها وتمنت ان يتوقف قلبها عن الخفقان الشديد. لقد ارتكبت اخطاء في حياتها، لكن فشلها في عدم معرفة ان والكر لن يهتم فعلا لامرأة هو الخطأ الاكبر. وهي تشعر بألم لم تتخيله مطلقا. وضعت منشفة باردة على وجهها وجبينها. ورأت الحزن واضحا في ملامح وجهها على المرآة. وبغضب، استدارت.

اجبرت نفسها على الوقوف باستقامة وغادرت غرفتها. من القاعة رأت جيوف يركض نحو الخارج، وهو يغلق الباب الامامي وراءه. كما وانه يمد قميصه امامه وكأنه يحمل شيئاً ما، ربما هرة صغيرة.

تفاجأت عندما وصلت الى المطبخ ان والكر مازال هناك يشرب العصير، ويبدو كأنه في انتظارها. جلس مستقيما وكاد ان يقول شيئا ما عندما نظرت باستغراب الى الطاولة وقالت:«اين التفاحات؟ اريد اعداد فطيرة بالتفاح.»

تبع بنظراته ناحية الباب وقال:«آه، هو.»

على الفور تذكرت جيوف، وبسرعة ركضت نحو زريبة الحصان البري، فلا بد انه هناك. تبا له! ان لم تستعد تلك التفاحات لن تتمكن من اعداد الحلوى للضيوف، وهذا أمر اعتادوا عليه جميعا. كما وان، على جيوف ان يتعلم ان لا يأخذ اشياء من مطبخها من دون ان يسألها! عليها ان توبخه فعلا.

ما ان استدارت حول المخزن، حتى توقفت من المنظر الذي رأته، ثم سارت على مهل. اختفى انزعاجها من جيوف.

كان جيوف جاثياً قرب الزريبة التي تضم ريدج فاير. مد يده نحو الحصان المشاكس حاملا واحدة من التفاحات، وهو يتحدث له بنعومة، تماما كما يفعل والكر وهو يحاول السيطرة على احد الخيول. داخل الزريبة، وقف الحصان الكبير، محركا اذنيه، لكن من دون ان يتحرك ليأخذ التفاحة.

لم تشعر ستايسي انها تملك القدرة الكافية لتتدخل. ومن الواضح ان الحصان لن يصبح اليفا مع الصبي. لكن الامر مهم جدا له. فهو يحبه بشدة. تنهدت، فهي حقا لا تفهم.

سمعت وقع اقدام وراءها، ولم تستدر عندما شعرت بيد دافئة على كتفها، وقف والكر يراقب محاولات جيوف، من دون التفوه بأي كلمة.

اخيرا قال:«لقد سمعتني اتحدث معه بشأن ذلك الحصان. لا اعلم لماذا يستمر بالمحاولة.»

رمى جيوف التفاحة الى داخل الزريبة ونحو الحصان،

لكنه تجاهلها. فاختار جيوف واحدة اخرى وحملها له كما فعل في السابق.

شعرت ستايسي بالحزن، متمنية لو ان الحصان يقبل هدية جيوف، لكنها قالت:«لا يهم.»

«لن يصل بعمله الى اي مكان.»

«اعلم. لكن اعتقد محاولة إقامة صداقة مع ريدج فاير لن تؤذي جيوف، حتى ولو لم يتبدل، فنحن بحاجة للتبادل العاطفي دائما وأبدا.»

تساءلت ان فهم والكر ما قصدته. لكنها كانت متعبة جدا من تبدل عاطفة والكر. وحزينة من اجل ابنها. فكرت اين الخطأ في الاستسلام لهذا الشعور المريح الذي يحيطها به والكر الان؟

لم تجد اي إجابة فاتكأت على صدره القوي وتنهدت، سعيدة بتلك اللحظة من الهدوء والسلام.

علمت انه ينظر الى الخيول البرية التي يحبها كثيراً، وأمامها كان جيوف يظهر صبرا غير عادي، وهو يقدم التفاحة تلو الاخرى، ويهمس بنعومة الى الحصان الشرس.

قال والكر، قرب اذنها:«تعلمين، عزيزتي، لو كان بمقدوري ان افعل اي شيء لأجعل هذا الحصان مطيعا لجيوف، لفعلت.»

مالت برأسها وابتسمت له هامسة:«اعلم.»

«اذن انت تعلمين لماذا، اليس كذلك؟»

«لماذا... ماذا؟»

«لماذا سأساعد جيوف، ان استطعت، لأنني

احبه، ستايسي. كما وانني معجب بك ايضاً.»
اغمضت عينيها، انه يتحول من شخص عاطفي، الى بارد، ثم عاطفي من جديد، وهي تشعر بالارتباك في كل تحول. هل ستتمكن يوماً من فهم هذا الرجل؟ وتتبع تطور افكاره؟
كل هذا كثير عليها، فهي لا تعلم ان كان ما قاله حقيقياً، او ببساطة يحاول اغوائها، ومحاولة منها لتخفيف الاجواء بينهما، قالت وهي تبتسم له: «هل تجلب لي باقة كبيرة من الزهور اذن؟ فأنا احب الازهار كثيراً.»
«يا للهول؟ ليس هناك الا ورود برية هنا.» شيء ما في صوته دفعها عنه.
عقدت ذراعيها وقالت:«آسفة، قصدت انني اشعر بالسعادة عندما يقدم لي احد الازهار.»
حرك كتفيه بلا مبالاة وقال:«بكل الاحوال، انا لا اقدم الازهار.»
«حسناً، علي ان اذهب لافكر بما اصنعه كحلوى الليلة، يبدو أن الضيوف يرغبون بقطعه من الحلوى بعد العشاء.»
هز برأسه ولم يجب.
«اراك لاحقاً.» ابتعدت وهي تشعر بالانزعاج، والكر عمل على ان يخيب املها من جديد.
اجبرت ستايسي جيوف على مساعدتها لصنع قالب من الحلوى بالشوكولا والفانيليا. لكنه لم يعترض رغم توبيخها له على اخذه التفاحات من دون علمها.

وبعد ان اعترض قائلاً:«آه، امي.» بدا انه سعيد جداً وهو يضيف حبوب الكرز على القوالب.
وما ان وضعت ستايسي الصينية في الرف الاخير في البراد الكبير، بدأ جيوف بالتحدث عن نهاره. لم يذكر مطلقاً الوقوع عن الحصان، بل ذكر كيف لعب مع بيلي وسكوتي، وأخبرها كيف علمه والكر صنع حوافر للحصان.
«وبعد ذلك قال والكر ان لا اقف مطلقاً وراء الحصان. لأنه قد يرفسني.» تابع جيوف تناول الشوكولا من الوعاء وهو يتحدث.
تجهم وجهها وعلقت:«اتمنى انك لست في موقع التعرض لرفسة.»
«انا؟ لا. لكن والكر اخبرني عن شاب يعرفه تعرض لنزع اربعة اسنان من حصان لم يرغب في وضع حافر له.»
قالت بخوف:«جيوف.»
«آه، لا تقلقي، امي، هذه الحلوى شهية جداً. انت طاهية ماهرة.»
لم تستطع الا ان تضحك. «محاولة جيدة، لكنني اعرف متى يريد احد تبديل الحديث كما وانني لست بطاهية كما تعلم.»
«آه، حسناً، رئيسة الطهاة، بكل الاحوال، تركني والكر اساعده، ومهما كان العمل قاسياً. انه فارس حقاً، امي. لقد وصل عدد من الابقار هذا الصباح، وكان عليه ان يضع حبلاً حول واحدة حاولت الهرب. كان عليك رؤيته.»

رفعت ستايسي يدها قائلة:«هل اشعر انك تعتبره مثالك الاعلى؟»

«ماذا؟»

«هذا يعني انك تعجب بشخص ما، حتى تحاول ان تصبح مثله.»

هز الولد رأسه قائلاً:«والكر رائع... بل اكثر من رائع.» وقفز عن المقعد وهو يتابع:«اعتقد انني سأذهب لرؤية بيلي.» وعندما هزت رأسها موافقة فاجأها بالقول:«هل تعلمين، افتقد والدي كثيرا.»

رفعت حاجبها، فهو لم يذكر والده مطلقا، مهما حاولت ان تدفعه للتحدث عنه، حتى تخلت عن الامر.

تمتمت:«اعتقد انه من الصعب ان ينشأ الطفل من دون والد.»

«غير ان والدي لم يفعل اي شيء معي. كان دائماً يعمل.»

تنهدت ستايسي وقالت:«كان رجل عمل دائم، لكنه احبك كثيرا.»

هز رأسه وعلق:«والكر يلعب معي، وهو حقاً يحبني.»

تساءلت ما دور والكر في تبدل جيوف، قالت:«انت طفل محبوب، جيوف، لكن هل تحاول اخباري شيئاً ما؟»

«لا.» وضع يديه في جيبي بنطاله وقال:«لكنك معجبة بوالكر كثيرا اليس كذلك؟»

ضحكت وقالت في نفسها معجبة به، انها نصف

مغرمة به:«بالطبع... انا.» فجأة تجهم وجهها، لكنها تابعت:«معجبة به.» هز جيوف رأسه وغادر. وقفت ستايسي تحدق في الباب، هي مغرمة بوالكر؟ كيف لها ان تكون بكل هذا الغباء.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

لاحظ والكر، ان المرأة اصبحت اكثر هدوء وهو يراقبها خلال تناول الطعام وفي صباح اليوم التالي، بينما كان يعطي جيوف درسا في امتطاء الخيل. عادت ستايسي تقول ما تفكر به، تبتسم كثيرا وتشارك في الحديث، لكن ليس الان. فمنذ ان تعرف عليها رآها سعيدة، غاضبة محبطة وحتى حزينة. لكنه لم يرها مرة يائسة وقلقة هكذا.

قال:«هذا جيد جيوف.»انه يمتطي الحصان الذي اسقطه عن ظهره في اليوم السابق.«كما وان عددا من الخيالة يجرون بسرعة قصوى، يمكن ان تتعلم ذلك، ايضا.» قال وهو يسير على الخيل بسرعة اكثر:«الجري بسرعة كالهروب.»

«لا، ليس كذلك. والان لنرى ان كنت تستطيع السير على خط مستقيم.»

نظر والكر الى ستايسي وهي جالسة على درج الشرفة وامامها هرّ صغير يمسح رأسه بساقها، محاولا ان يجذب انتباهها. لا يبدو انها تهتم به. فهي مشتتة، وضائعة. حاول ان يجد سببا منطقيا. يعلم انها غاضبة منه، وكان ليفهم ان صرخت به او حتى صفعته، لكن ان تكون حزينة؟

بكل الاحوال، ما الذي كانت تفكر به، والى اين ستتجه الامور بينهما؟

صرخ جيوف:«انظر، والكر.» اسرع بالجري بطريقة معاكسة لكنه كان سعيدا بإنجازه.

استدار والكر، فلقد كان يحدق بها، وهي غير مدركة لنظراته. انها ناعمة ومثيرة، لكن لديها قوة خفية تعجبه. فبعكس النساء اللواتي تعرف عليهن، هي لا تخاف من مواجهة احد. ومع ذلك، ها هي اليوم تبدو غريبة جدا. لم يحاول فهم القوة التي دفعته للاقتراب منها، جلس على الدرج الاخير ووضع مرفقه على ركبته:«صباح الخير.» اجبرت نفسها على الابتسام:«آه، مرحبا.»

«هل تشعرين بسوء ما؟» من الافضل لها ان تعبر عما يزعجها لتتخلص من مزاجها السيء. وجد نفسه منزعجا ان يراها حزينة. سيفعل اي شيء ليعيد ابتسامتها الى وجهها.

رفعت نظرها اليه وقالت:«سوء؟ لا شيء لا استطيع التعامل معه، على ما اعتقد.»

في تلك اللحظة، مر احد مساعديه في طريقه الى المخزن وفي يده حبل جديد، قال لوالكر بمرح:«مرحبا، معلمي سأذهب لأضع هذا الحبل بين السياج وشاحنتك، اليس كذلك؟»

هز والكر رأسه بحدة، منزعجاً من مقاطعته.

«صباح سعيد، آنسة ستايسي، من الواضح انه نهار رائع.» توقف الرجل وباحترام لمس قبعته بأصبعه، وهو يبتسم لها.

حاول ان لا يصرخ بهاري عندما ردت عليه:«نعم،

هاري، انه يوم جميل.» انه شاب لم يتعد الخامسة والعشرين من عمره، ومن المحتمل انه وسيم بالنسبة الى النساء. فأنفه غير محطم، قال والكر بتجهم:«من الافضل ان تذهب لتنهي عملك.»

«بالطبع، معلمي. فأنا ذاهب.» وحرك الحبل في يده. استمرت ستايسي في الابتسام له بفرح وبدأ على هارلي التردد بالذهاب.

صرخ والكر به:«الان.» ورغب في الامساك بقميصه ورميه على الارض. اخيرا لاحظ هارلي تجهم وجه والكر الغاضب، فشحب وجهه وغادر. راقبه والكر وهو يشعر بالضيق. مجرد التفكير ان ستايسي قد تعجب برجل آخر يثير غضبه، وعلى هؤلاء الشباب ان يعلموا ان عليهم عدم التودد اليها.

حاول ان يعيد انتباهه لها، قال:«اما زلت غاضبة مني؟»

«غاضبة لا، لست بغاضبة.»

«لكنك لست سعيدة.»

رفعت كتفيها وتنهدت.

«ستايسي، انا...» لم يعلم ما الذي سيقوله. معظم النساء اماٍ تعجبٍ به او لا. لم يحاول مطلقا ان يمضي وقتا مفكرا بواحدة منهن من قبل. لم يشعر مرة انه من المهم له ان يفهم كيف تفكرّن.

لكن ستايسي مختلفة. وجد نفسه مهتما بآرائها وبتقلب مزاجها. لأول مرة في حياته يهتم لافكار امرأة. مد يده ولمس خدها براحة يده. ارتجفت مبتعدة عنه. وهمست:«لا.»

ضاقت عيناه، انها لا تثق به، ولا للحظة. هذا واضح جدا. شعر بالمرارة السابقة تغمره، العاطفة الوحيدة التي كانت تحميه من الألم الذي عاشه طوال حياته.

قال:«لا تريدين ان المسك؟»

«لا... ليس الامر كذلك.»

بقي صامتا.

«اعتقد... انني لا اثق بنفسي عندما اكون قربك، فلمستك تؤثر بي.»

احساس بالفرح سيطر عليه. انه معجب بشجاعتها:«اعتقد...» توقف عن الكلام ورفع قبعته، مرر يده في شعره. يا للهول، انه يفضل ان يقفز على ثور هائج بدلا من التحدث معها عن عاطفته، تابع:«اعرف كيف تشعرين.»

نظرت اليه، وقد رفعت رأسها بكبرياء:«الامور معقدة، والكر. انا غير مستعدة للتخلي عن مبادىء في حياتي اراها مهمة، لكن عندما تقترب مني اضطرب وانت تدرك ذلك...»

حدقٍ بها وقال:«نعم.» ها هي قد اعترفت انها تريده ايضا، ليس عليه ان يفكر بما تشعر به. حدق بشعرها المتوهج تحت اشعة الشمس، هذا الانجذاب بينهما كاد يثير جنونه.

لمست الهرة وهي تتابع، احتاج للحظات كي يسمعها:«وفي ذات الوقت، اعتقد انني خائفة، ستبقى المزرعة مشكلة دائمة بيننا.»

المزرعة، بالطبع. كيف يمكن له ان ينسى، حتى ولو

www.elromancia.com

بشكل موقت؟ برم شفتيه بانزعاج، وراقبها بنظرة حاقدة. اراد ان يصرخه بها. لم يشعر يوما انه قادر على الاحساس بكل خيبة الامل هذه.

انها لا تثق به، حسنا، فهو ايضا لا يثق بها. امضى حياته كلها عدائي وحيد. ولم يشعر بالانتماء الا الى هذه المزرعة. والآن ربما، الى هذه المرأة.

حتى مع هذه المعرفة، لن يسمح لنفسه بالثقة بها، وبأن يترك نفسه معرضا امامها. فقط الاحمق يخاطر بأرضه، بمكان وجوده وبيته الى شخص آخر قد يكون لديه دوافع خاصة تدفعه للمجاملة او التودد.

قال لها بقوة:«المزرعة هي من اولوياتي، تماما، وليس انت. وعزيزتي، لا تفكري مطلقا انني سأختارك قبل هذه الارض.»

رمشت بعينيها، وقد بدت الدهشة على وجهها، لكنه استمر في الابتعاد عنها، رافضا ان يصدق انه آلمها. همست:«لن افعل.»

«حسنا.» قال ذلك وسار نحو الاسطبل، اخبر جيوف بلهجة مريرة ان الدرس قد انتهى وتابع السير نحو المنزل.

داخل الغرفة تجول كالحيوان الجريح في قفص. ثم سار نحو الخزانة من دون تفكير، انحنى وسحب الصورة ثم وقف محدقا بها. فعاودته الذكريات لذلك النهار البعيد.

تذكر بوضوح عيد ميلاده العاشر. قدمت له امه كاميرا عادية وعددا من الافلام، ومن شدة فرحه،

خرج يتجول في المزرعة ويلتقط الصور لكل شخص ولكل شيء.

ومع ذلك عندما حاول تصوير جيم، وهو يضع الوسم على عدد من الابقار، انفجر الرجل غاضبا. اخذ الكاميرا من يدي والكر الصغير، بعنف فتحها، معرضا الفيلم لاشعة الشمس. شتم والكر، الذي اخذ يراقبه بغباء.

صرخ به جيم:«لا تأخذ لي صورة بدون اذن، هل فهمت؟» غضبه بقي سرا غامضا للولد الصغير. شعر بخوف كبير ولم يكن امامه الا ان يلتقط الكاميرا عن الارض، ويعود الى غرفته، ولم يشعر بالراحة الا عندما امسك بالفيلم الذي صوره ومازال سالما في جيبه.

عندما استلم الصور، لم يعرضها على جيم، والتي كان فيها على الاقل صورة واحدة وهو يوسم الابقار، مرت سنوات قبل ان يصبح والكر ناضجا ليفهم تماما ما الذي رآه، وفي الحقيقة، لو لم يحتفظ بالصورة، ربما ما كان ليصدق ما رآه. سرقة الماشية، بالتحديد، في السنوات التي تلت، عمل جيم كثيرا ليصبح جارا ودودا لكل من في المنطقة، تشارك مع الآخرين بحصة المياه، وكان ينظر جانبا عندما تتسلل العائلات الفقيرة في المنطقة لتستولي على ماشية بارام من اجل ان تأكل. كما وانه شارك في الاعمال الخيرية، قدم المساعدة، وعرض افكارا مهمة لتطوير المنطقة. وكان دائما يعمل بجهد قوي في المزرعة. لا يستطيع

والكر ان ينقص شيئاً من كل ذلك لجيم. وهو يعلم ان سمعة زوج امه مهمة لديه في هذه الارجاء، التي عمل جاهدا لبنائها. لذلك سرقة الماشية امر يصعب تصديقه.

عاد والكر إلى الحاضر، فالصورة تظهر جيم وهو اصغر عمرا، منحنيا فوق عجل واقفا في الوحل، وجيم يحمل قطعة حديد حمراء اللون تحمل اسم بارام. وكان على وشك ان يرسم العجل، وفوق وسم آخر كتب عليه اولد والت وينتر والتي يملكها صاحب مزرعة شهيرة من الناحية المقابلة للجبل، والذي لم يلاحظ الفقدان القليل ولكن المنظم لماشيته.

عبر والكر الغرفة واعاد الصورة الى الخزانة. ما ان اصبح كبيرا بما فيه الكفاية عمل على التاكد من الامر وعرف ان سرقة الماشية من قبل جيم قد توقفت منذ سنين عدة. الرجل العجوز توقف عن ذلك العمل الخطر بعد ان انقذ بارام في تلك السنة الصعبة. على الاقل هذا ما عرفه اخيراً.

مع ذلك، مازال هناك عدد قليل من تلك العجول، وهي هرمة جدا، لكنها لا تزال على قيد الحياة في المراعي البعيدة. كل ما عليه القيام به هو ان يبعد الوبر عن جلدها وسيحصل على البرهان من خلال الوسم المحترق، شيء لا يمكن رؤيته من خلال الوبر.

وان لم يكن هذا كاف لإدانته كمجرم، فالصورة ستبرهن ان جيم قد استعمل وسائل ملتوية ليحافظ على المزرعة. ابتسم والكر بانزعاج، فهو لا يشعر

بأي مرح على الاطلاق، لكنه متأكد ان جيم لن يسمح لهذه المعلومات ان تصبح في العلن.

تنهد بقوة، ورمى بنفسه على السرير. طوال تلك السنين ملك القدرة على تحطيم جيم، ليجعل الرجل يجثو. لكنه لم يفعل ذلك. رغم كل الخلاف بينهما، لم يكن هناك سبب كاف ليدمر الرجل على اخطائه الماضية. سبب سرقة جيم اصبحت الان واضحة، بارام كانت معرضة للافلاس، لذلك عمل الشيء الوحيد الذي استطاعته لينقذها. تساءل والكر ان كان هو نفسه واجه خسارة ارضه وميراث عائلته، هل كان وصل الى تلك الحدود.

حسنا، الارض مهددة الان، ولو من ناحية مختلفة. من خلال وصية جيم الجديدة. سيصبح جيوف المالك، وكذلك ستايسي وكيلة عليه. لا يعلم والكر ما الذي سيحمله المستقبل. انه مرتبك ومحبط بسبب ما يشعر به نحو ستايسي. كانت الحياة بالنسبة إليه مجرد عمل فقط. الان، مع هذا الخلاف العميق وعدم الثقة بينه وبين ستايسي، لا يعلم ما الذي سيفعله.

ربما حان الوقت ليظهر دليله لجيم، وبالطبع بمفرده. لأنه ولا للحظة يعتقد ان جيم سيسمح ان يعلم احد بذلك، وهكذا سيجبره على تبديل وصيته.

هكذا ستغادر ستايسي وابنها، وهو لن يشعر بأي ارتباك بعد الان. ستعود حياته كما كانت في السابق. ولن يقدم جيوف على اتباع كل خطواته، طالبا الإجابة على العديد من الاسئلة واعتراض

طريقه. ستعود حياته بسيطة وهذا ما يريد بدون اي شك.

* * *

حان الوقت لتقرر مستقبلها، قالت ستايسي ذلك لنفسها بحزم. عليها ان تقرر ان كانت ستجعل المزرعة منزلها او انها سترحل الى لوس انجلس. لن تسمح لوالكر ان يدير حياتها. طوال سنين زواجها سمحت لدنيس ان يفعل ذلك. لكن ليس بعد الان.

لكن ان بقيت فلا بد انها ستضعف امام والكر. مع مرور كل يوم شوقها اليه يزداد.

ارتجفت ستايسي فضمت ذراعيها الى صدرها بسبب البرد في غرفة نومها. ابتسمت وهي تنظر الى ابنها النائم. مؤخرا اصبحت تعمل على وضعه في السرير في وقت باكر، كما وانه لا يبدو مرهقا آخر النهار. امسكت بمعطف من الخزانة، لكن ما ان سمعت الباب الامامي يفتح ثم يغلق، حتى وضعت المعطف جانبا.

لا بد انه جيم، وقد اتى بعد قضاء نهار بأكمله في البلدة. لقد غادر صباحا نحو عمله الغامض كما فعل ذلك من قبل عدة مرات. ما يفعله لا يعنيها، رفعت كتفيها وغادرت الغرفة بهدوء. لقد حان الوقت ليتحدثا.

قالت بصوت ناعم:«جيم.» وهي تراه يتجه نحو غرفة نومه. توقف الرجل وقد بدا التعب عليه بوضوح.

قال:«نعم.»

استجمعت قوتها، فلديها اسئلة واضحة في فكرها،

قالت:«هل استطيع التحدث معك؟ في مكتبك؟»

ابتسم لها بتعب:«بالطبع.»

بعد ان اغلق الباب وراءهما، جلست على كرسيها امام مكتبه، وجلس جيم على كرسيه الكبير، سأل بدون اي مقدمات:«ما الذي يشغل بالك؟»

«كنت افكر ان كان علينا حقا الانتقال الى هنا انا وجيوف.»

هز رأسه، فتابعت بسرعة كي لا يتكلم:«وأعلم ان ما سأقوله سيبدو تافها، لكنني لا استطيع اتخاذ القرار المناسب، اعتقدت من الافضل ان اتحدث معك.»

ابتسمت بقلق وتابعت:«كنت اريد ان اسألك ذلك من قبل، لكنني لم املك الجراءة الكافية.»

مد يديه وقال:«اسألي ما تشائين.»

«حسنا، كنت اتساءل لماذا قررت الان، في هذا الوقت بالذات، كي تكتب وصيتك. اقصد، ان دنيس توفي منذ اكثر من سنة، انها ليست فترة طويلة، لكن مع ذلك اشعر بالغرابة.»

ظهر الضيق على وجهه، قال:«قلت لك، جيوف حفيدي، الوحيد الذي له صلة بالدم معي. اريد ان اراقبه ينمو ويكبر.»

قالت غير مقتنعة:«آه، وماذا ايضاً؟»

«ماذا تقصدين، وماذا ايضا؟»

قالت بصوت هادئ:«هناك امور اخرى، اليس كذلك؟ انك تخفي شيئا ما. الا تعتقد انه حان الوقت لتخبرني؟»

«والان، سيدتي، قلت لك...» توقف عن الكلام لكنه لم ينظر الى عينيها. فجأة وضع يده على جبينه وتابع:«حسنا، اعتقد ان لا ضرر ان علمت.»
هزت برأسها، وهي تشعر بالتوتر. فلا فكرة لديها ما الذي سيقوله بعد.
«كنت تحت العناية الطبية.»
تجهمت وقالت:«هل انت مريض؟»
«في الواقع، مشاكل في القلب.»
شهقت. مات دنيس بسبب ازمة قلبية مفاجأة. لم يكن قلبه قوياً، ولم يكن احد يعلم بذلك. انه امر وراثي، كما قال الاطباء.
«يا للهول، جيم.»
قال يخفف عنها:«لا بأس بوضعي، لقد اجروا لي الكثير من المعاينات وانا اتناول الدواء باستمرار واتبع اوامر الطبيب بدقة، وبالنسبة إلي ارى انها مجرد مزيد من المشاكل.»
«لا، امر جيد ان الطبيب يراقبك باستمرار. لو كنا علمنا بشأن دنيس...» ولم تنهي كلامها.
«حسنا، اكتشفت ذلك منذ عدة اشهر، وادركت انني قد لا اعيش لفترة طويلة. واعتقد ان الحظ ارادني ان افكر بما اريده في السنوات الاخيرة، وانا اريد عائلة. انت وجيوف هنا معي.»
بالكاد سمعته كانت تفكر، وسألته:«الهذا السبب تذهب الى البلدة؟ ووالكر لا يعلم، اليس كذلك؟»
تحرك الرجل الكبير على كرسيه.

قالت وهي تقترب من المكتب:«لماذا، جيم؟ لماذا لم تخبره؟ انه من عائلتك ايضا.»
نظر الى السقف ثم ابتسم:«انا وهو لا نتحدث كثيراً، لكن انا ودنيس لم نكن نتحدث ايضا. مارغريت هي من اهتمت وربّت دنيس. وانا لم اكن معجبا بما كان عليه.»
كررت مرتبكة:«بما كان عليه؟»
«تقريبا... نعم. يرغب في البقاء داخل المنزل، يقرأ ويلعب العابا هادئة. لم يحب مطلقا رائحة المزرعة او الحيوانات. وهذا ليس بأمر جيد لصبي او لرجل.»
قالت:«اخبرني والكر ان دنيس لم يكن رياضيا، وخلال فترة زواجنا لم يشارك بأي عمل رياضي، لكن لا عيب في ذلك.»
«لا؟ حسنا، لا اعرف اكثر من ذلك. اعتقد كان يجب ان اكون اكثر تفهما.» ولأول مرة بدا جيم حزينا حقا، وهذا احزنها هي ايضا.
«اعتقد ما كان علي ان ادفعه ليغادر المزرعة بتلك الطريقة.»
رفعت حاجبيها مصدومة، سألته:«انت دفعته للمغادرة؟ اعتقد انك قلت ان والكر فعل ذلك.»
نهض وسار نحو النافذة وحدق في الظلام:«كنت دائما رجلا قاسيا، وعندما اصبح الولدان في الثامنة عشر، في احد الايام عدت الى المنزل بعد يوم عمل شاق. رأيت دنيس يكتب رسائل للجامعات، محاولا ان يقبل في واحدة منها. لا تفهميني خطأ، الجامعة جيدة للبعض. لكن في ذلك اليوم ادركت اخيرا ان

دنيس لن يبقى هنا لمتابعة العمل الذي بنيته له.»
«وهكذا رميته خارجا؟»
«صحيح، لكنني حاولت استعادته. دفعت ثمن تعليمه، وأرسلت له المال. لكنه لم يرد مطلقا العودة الى هنا.»
تحطم قلبها على كل الماضي الذي لا تستطيع تغييره، اخيرا علمت ستايسي انها اتخذت قرارها. ستبقى في المزرعة. جيم بحاجة اليها. وجيوف سعيد جدا بهذا الامر، وهي ستصنع لها منزلا هنا. اخيرا، هي مغرمة بوالكر. ربما في يوم ما سيهتم بها فعلا.
علمت بوضوح الان لماذا كانت تجد صعوبة في اتخاذ القرار. السبب والكر.
نهضت، تمنت مساء سعيدا لجيم وشكرته على ثقته بها. عادت الى غرفتها واستلقت على سريرها. من المؤكد ان جيم قد اقدم على اخطاء كبرى في حياته، فولد رحل والآخر يعيش في هجرة كاملة. ومع ذلك ها هو الان يريد انقاذ ما تبقى من عائلته.
تنهدت، لا بد. ان المزرعة تعاني من الفراغ طوال السنين بعد وفاة مارغريت. وكان على جيم تربية الولدين بمفرده والعمل في المزرعة وقسم الضيوف. من المؤكد ان عملا كهذا سيحطم صاحبه. لكن جيم تخطى الامر بالقسوة على ابنه وابن زوجته. ومع ذلك مازالت لا تفهم لماذا لم يوافق مطلقا على الولدين. خصوصا والكر، اعترف لماذا طرد ابنه من المزرعة، لقد سمعت الكثير عن الاباء الذين يختلفون مع اولادهم بسبب اختلاف طباعهم، لكن بسبب

الحب، يتمكن الاباء من التأقلم وتقدير الاختلاف عن ابنائهم.
لم يستطع جيم ان يتغلب على غضبه من دنيس، لكن ماذا عن والكر، فهو مجنون بالخيل، يعمل بجهد كبير، وهو يشبه كثيرا جيم بحبه للمزرعة. يجب ان يكون والكر الابن الحلم لجيم. اذن لماذا لم يكن موضع تقديره؟
لم تجد إجابة لسؤالها، تمنت لو انها سألت جيم، عندما تحدثت معه. إنه سؤال مهم لتفهم حقا طفولة والكر. وهذا ما ستفعله عند الصباح، فهي تريد ان تكتشف الحقيقة.
بدا جيم منزعجا من سؤالها. كم يبدو تعبا، مع انه استيقظ باكرا. فالساعة في المطبخ تشير الى الخامسة، وقبل وقت طويل من استيقاظ الضيوف.
سكبت له فنجانا من القهوة، متأكدة انه بدون كافيين، ابعدت الزبدة عنه، ووضعت مكانها زبدة خالية من الدسم. مشاكل في القلب تعني تغيير في نظام الاكل. ستتأكد انه سيأكل بطريقة افضل. رشف القهوة باشمئزاز ثم نشر الزبدة على قطعة الحلوى وهو يفكر بسؤالها.
ردد بينما جلست امامه وقد وضعت يديها على فنجان قهوتها:«لمَ لم اعامل والكر بطريقة افضل؟»
هزت رأسها وهي تسأله:«الم يكن يملك كل شيء اردته في دنيس؟»
تنهد الرجل وقال:«ربما هذا هو السبب، كما اعتقد.»

قالت وهي تفكر ملياً بما سمعته:«هذا هو السبب؟ لأن والكر كان قادراً على القيام بكل ما اردته من ابنك؟»
«لم يحاول دنيس الا ان يخيب املي، اردت ان اشعر بالفخر من ابني الحقيقي.»
«لم يفرحك ابداً، جيم؟ الم يكن يملك صفات اخرى يمكنك تقديرها؟»
رفع كتفيه وقال:«دنيس كان ولداً صغيراً، وتقريباً محتال.»
الان اصبحت ترى الامور كما كانت بالتحديد:«ووالكر؟ اني متأكدة انه كان صريحاً وصادقاً.»
بدا عليه الانزعاج وهو يقول:«اعتقد انني كنت اكره ذلك، فوالكر كان ينجح في كل مكان يفشل فيه دنيس.»
«آه، جيم.» شعرت بصعوبة الأمر، والألم والحزن اللذان غلفا حياة الولدين. ولا عجب ان والكر لا يعرف شيئاً عن الحياة العاطفية فهو لم يعشها يوماً.
وبينما كانت تنظر الى الرجل الذي سبب لهما البؤس والحزن، لم تستطع ان تشعر بالغضب نحوه. فجيم عجوز وصحته ضعيفة. وبدعوتها هي وجيوف الى المزرعة، كان يحاول، وعلى طريقته، ان يصحح اخطاءه. فدنيس قد ضاع منه الى الابد، لكن ليس جيوف. ولا حتى والكر.
وضعت ستايسي ابنها في السيارة رغم اعتراضه في وقت لاحق ذلك الصباح، راغبة في الذهاب الى باكرزفيلد لكي ترتاح قليلاً من جيم ووالكر معاً. ما كان عليها ان تأخذ جيوف معها، لكنه بحاجة الى

بنطلون جينز جديد، كما وانها بحاجة الى صحبته. فهما لا يمضيان الكثير من الوقت بمفردهما منذ ان قدما الى بارام.
بعد ان اشترت السروال من مخزن كبير للثياب، ذهبت الى قسم النساء حيث يعرض قمصان متعددة الألوان، اختارت ثلاثة قمصان لها، وإرضاء لجيوف رافقته لتشتري لنفسها حذاء بساق طويل.
قال ابنها بحماس:«امي، تبدين حقاً كراعية للماشية.» شعرت بفرح، وضعت يدها على رأسه وعلقت:«آه، انت مجنون بحب الماشية، هيا لنذهب ونتناول البوظة التي تحبها.»
ابتدأ بتناول البوظة، وطوال الوقت كانت جيوف يتحدث عن اعماله المتعددة في المزرعة وعن اصدقائه. كانت سعيدة بالاصغاء اليه، وهي تشعر بالدهشة من التبدل الواضح فيه. لقد اصبح اطول واكثر سمرة كما وانه اصبح اكثر وزن ايضاً واكثر ثقة بنفسه، فهو ينظر الى الجميع مباشرة في اعينهم، ويضحك دائماً. الحياة في المزرعة تصنع العجائب له.
ابتسمت، ووضعت ذراعها حوله وهما يجتازان الشارع نحو مخزن للخضار، فهي بحاجة لبعض الاصناف في مطبخها. لقد قامت بالقرار المناسب، في البقاء بالمزرعة. وحتى لو البقاء لم يكن الا لمصلحة ابنها. فمن يعلم ما الذي سيحدث ان اجبرته على العودة الى المدينة، والى مدرسته القديمة وكل الحياة الحزينة التي كانت يعيشها؟

«امي، سأحضر بعض كرات الحلوى من الآلة في الخارج.»

ابتسمت له وهي سعيدة من الفرح البادي عليه. دفعت عربة خاصة للمخزن وسارت، وقفت في مكان تستطيع النظر إليه من النافذة وهي تختار الخضار والفاكهة. فجأة رأت الصبيين يقتربان من جيوف. انهما ذات الولدين اللذين زارا المزرعة الاسبوع الماضي، عرفت صاحب الشعر الاحمر وصديقه اللذين ازعجا جيوف وبيلي. تذكرت ان والديهما قالا انهم يعيشون في باكرزفيلد، فشعرت بارتجاف في صدرها.

في تلك اللحظة فتح الباب لدخول زبون، فسمعت ستايسي صاحب الشعر الاحمر يقول:«تقول انك لست بضعيف؟ لكنني اتحداك.» ووضع اصبعه على عنق جيوف ودفعه قليلا الى الوراء.

لم يقل جيوف شيئا، بالكاد نظر اليه بغضب، ومن حيث تقف رأت انه مازال يحمل البوظة في يد وثلاث كرات من الحلوى في اليد الاخرى. أغلق الباب فعضت على شفتها. وبرعب اخذت تفكر ما الذي ستفعله. وضعت يدها على بطيخة صفراء وهي تتساءل ان كان عليها التدخل.

قال رجل يرتدي مئزرا ابيض اللون:«اتريدين اي مساعدة، سيدتي؟»

«لا!» ارادت انت تقول له ان يسكت فهي تريد ان تصغي الى الحديث الدائر من وراء النافذة. نظر الى البطيخ الاصفر بين يديها وقال:«هل تريدين

واحدة طازجة لتأكليها اليوم، ام تفضلين واحدة لتحتفظي بها لعدة ايام بعد؟»

هزت رأسها وقالت:«شكرا لك، لكنني استطيع اختيار ما اريده.» وتظاهرت انها تضع يدها على اكثر من واحدة كي يدعها وشأنها.

مدّ الولد الآخر يده ورمى بالبوظة الى الارض. شهقت ستايسي. دخل زبون آخر، فحاولت الاصغاء بانتباه.

قال البائع:«ربما تفضلين رؤية تلك في الجانب الاخر؟ انها اكبر حجما.»

استدارت اليه وهي تشعر بالانزعاج:«هل يمكنك ان تتركيني بمفردي؟ انا لا احب البطيخ الاصفر، ولن احبه ابدا.» وعادت لتنظر الى النافذة ولم تلاحظ استغراب الرجل. فمازالت يداها تحملان البطيخ.

في الخارج، هناك ولدان ضد واحد، وذلك الواحد ابنها. قد يصاب بأذى، او ربما سيتراجع نحو الزاوية خجلا، ويفقد كل الثقة التي يشعر بها. هذا يكفي، استدارت ستايسي وبدأت بالسير نحو الباب، عندما ترددت كلمات والكر في مخيلتها:«كيف سيصبح رجلا ان كنت دائما تتدخلين في شؤونه هكذا؟» وقفت مكانها، فوالكر على حق. على جيوف ان يتعلم كيف يدافع عن نفسه، حتى ولو سال الدم من انفه من اجل ذلك.

اصبحت قريبة من الباب الآن، رأت الصبي يقرب وجهه من وجه جيوف ويصرخ:«جبان! جبان، جبان!» وليزيد من اهانته وضع يده على صدر جيوف ودفعه.

انزلق جيوف الى الحائط وكاد ان يقع. فجأة انتفض، وحافظ على توازنه، وضع يديه على صدر الولد الآخر ودفعه، تفاجأ الولد صاحب الشعر الاحمر وسقط على الارض، قفز صديقه امام جيوف، لكن جيوف دفعه ايضا فسقط على الارض هو الآخر.

صرخ جيوف بهما وقد اتقد وجهه من الغضب:«نادني بما تشاء، فأنا امتطي الخيل وأقوم بعمل الرجال.»

لأول مرة رأت اولاداً ينظرون الى ابنها بقلق.

تقدم جيوف خطوة من صاحب الشعر الاحمر وتابع:«ارحل من هنا الآن، والا سأعمل على ربطك بالحبل ووضع وشم على وجهك.»

تراجع الولدان الى الوراء، وقال واحد منهما:«حسناً، لا تبالغ الآن.»

ابتسمت ستايسي حيث تقف قرب النافذة. لم تشعر يوماً بالكبرياء هكذا.

ارادت ان تضم ابنها اليها، فلم يحاول مرة ان يدافع عن نفسه. كان ذلك شيئا لم تستطع مطلقا ان تعلمه اياه.

عاد وجهه الى لونه الطبيعي، بدا وكأنه لم يتأثر مطلقا بما حدث.

يبدو ان الحياة القاسية في المزرعة قد وصلت اليه.

تنهدت ستايسي. ان عادا الى المدينة او بقيا في المزرعة، سيحيا جيوف بخير. وعليها ان تعترف ان ثقة جيوف بنفسه سببها والكر ومعاملته له.

الفصل العاشر

وقفت ستايسي بتوتر امام والكر في وقت متأخر بعد ظهر ذلك اليوم وقالت له:«انا وجيوف سنبقى هنا. وسنعيش هنا بصورة دائمة.» انتظرت رد فعل ما منه، . حتى وبعد كلماته القاسية عند الصباح، كانت متأكدة ان لديه عاطفة ما نحوها.

كان يغسل وجهه، قال:«ستبقين، هاه؟ لا تعتقدين انني متفاجىء، فهذا ما كنت تريدينه طوال الوقت.»

بدت ملامحه قاسية وكأنها محفورة في الصخر، وابتسامته ساخرة وناقمة. نظرت ستايسي اليه وشعرت بأن آمالها تذوب. فعلى الرغم من الاختلاف بينهما، بدأت تتمنى ان يجمعهما مستقبل حقيقي.

لكن الان، بعد انزعاجه وكرهه الواضح، بدأت ترى بوضوح اكثر. لقد تجاهلت الإشارات بسذاجة منها، وكل تصرفاته من عدم الثقة. كم كانت غبية، فقد انشغلت بالرجل وبأقواله بدلا من ان تنشغل بأفعاله.

والكر رجل قاس بارد. ولديه العديد من الاسباب التي جعلته هكذا. لكنها حافظت على ثقتها به، وتخيلت انها تستطيع مساعدته ليتغير، لتسمح للطفه وكرمه الحقيقي في طبيعته ان يظهرا. كم كانت حمقاء!

بدا اكثر غموضا ووسامة وهو يقف امامها، علمت انها لم تحبه مرة اكثر مما تحبه الان. وعلى الرغم من اخطائه، وهي تثق انها تعرفها كلها، فهو رجل جيد حقا.

قالت بصوت مرتفع:«والكر، لم آتِ الى هنا لأسرق هذا المكان منك.»
راودها احساس قوي ان أي فرصة كانت ستحظى بها معه تنزلق من بين يديها، حاولت وبجهد قوي ان تبقى هادئة وهي تتابع:«لماذا تعتقد انني طموحة وراغبة في سلب ارضك؟»
نظر اليها ببرودة، وقال:«لماذا؟ ما الذي فعلته لتجعليني اعتقد عكس ذلك؟ ظهرت هنا على اعتبار انك باقية لمدة اسبوعين فقط. لكنني عرفت انك ستبقين الى الابد.»
صرخت به يائسة كي تتمكن من الوصول اليه:«لكنني لم اعلم بذلك، كيف يمكن لي؟»
رفع كتفيه وقال بسخرية:«حدس المرأة؟»
حدقت به بحزن. فلا كلام كاف لاقناعه. شعرت بقلبها يغوص في ضلوعها، وهذا ما جعلها تشعر بالضعف والألم. في تلك اللحظة ادركت انها لن تستمتع مطلقا بحب والكر.
دموع حارة مؤلمة ترقرقت في عينيها. ومن دون ان تقول أي كلمة استدارت مبتعدة عنه وسارت ببطء وحزن. رأته يقطب جبينه ويرفع يده لتبقى، وكأنه يستعيد كلماته القاسية. لكنها لم تتوقف، لم تعد قادرة على الثقة بأن هناك اهتمام او عاطفة في نفسيته. لا بد انها اخطأت منذ البداية، فهي لن تحصل مطلقا على قلبه.
في منتصف الطريق نحو المنزل، سمعت صراخاً صادراً

من الاسطبل تبعه صهيل حصان. انه صوت جيم، التفتت نحو والكر ثم انطلقا بسرعة نحو مصدر الصوت. وجدا جيم في الزريبة الملاصقة لزريبة الخيول البرية. هارلي وعامل آخر وقفا عند الباب المفتوح، وواحد منهما يحمل حبلا ويصرخ في الحصان الوحيد داخل الزريبة. على الارض في الداخل، كان جيم، وقد رفع جسمه على مرفقه. وبيده الاخرى يضغط على جبينه، رأت ستايسي تدفق الدماء من جرح عميق في رأسه وعلى اصابعه، لتصل الى الارض.
صرخ والكر وهو يقف امام الحاجز:«ما الذي يجري هنا؟»
اشار الكاوبوي نحو الحصان الذي كان يدور داخل الزريبة، وقال:«كان جيم يعمل مع ذلك المهر المجنون، الذي رفع جسمه، ورفس جيم على الرأس. والان لا احد يستطيع السيطرة عليه.»
اقترب من السياج وعلى الفور ادرك ان الحصان يتصرف بغرابة، يدور بسرعة فائقة ويضرب الارض بقوائمه مثيرا الغبار في كل مكان.
عينا الحصان شديدتا البياض، ومع كل ذلك الغبار، شعرت ستايسي وكأنها ستختنق، فأخذت تتمنى ان ينهض جيم ويخرج من المكان. لا بد ان الحصان سيدوس عليه.
استمر الرجلان بالصراخ على الحصان. رفع والكر يده ليصمتا، وعلى الفور دخل الزريبة. امسك هارلي بذراعه:«هل انت مجنون؟ لا تدخل الى هناك.»

ابعده عنه، اقترب والكر من جيم في اللحظة التي اكمل الحصان فيها دورته.
همست ستايسي مرتعبة:«والكر.»
تجاهلها، وتحرك نحو مكان اقرب من جيم لحمايته. رفع والكر يده الى الحصان وانتظر بهدوء. اسرع الحصان نحو الرجلين وكأنه يقفز، لكن والكر بقي هادئا. وفي اللحظة الاخيرة، توقف الحصان على بعد خطوات منهما. شخر بقوة وأدار رأسه، ثم حول اتجاهه نحو الجدار الآخر.
اسرع هارلي وزميله الى داخل الزريبة لمساعدة والكر، الذي انحنى فوق جيم. حاول جيم النهوض رافضا المساعدة. رأت ستايسي والكر يتراجع الى الوراء، والألم واضح في عينيه.
صرخت في اعماقها، أه، جيم دع والكر يساعدك ولو لمرة! لكنه لم يفعل. اغلق الرجلان الباب. ونظرت ستايسي الى الرجل المجروح. فالجرح كبير ومليء بالغبار والاوساخ. لكن جيم لم يفقد الوعي.
نظرت من وراء كتفها رأت ان والكر لم يغادر الزريبة. وبدلا من ذلك، كان يتحدث الى الحصان بصوت هادىء، ويسير ببطء نحوه. شخر الحصان من جديد. لكنه ابطأ السير وأخيرا توقف وهو يرتجف بقوة.
من الواضح ان جيم يعاني من الدوار، لكنه حاول ان يبعد الرجلين عنه:«اتركاني اقف على قدماي، ايها الاحمقان.»
قالت ستايسي:«خذاه الى المنزل.»

صرخ جيم:«اتركاني، كما قلت لكما.» وعلى الرغم من اعتراضه، امسك الرجلان به من ذراعيه وحملاه الى داخل المنزل.
للحظة بقيت ستايسي مكانها لترى ما الذي سيحدث في الزريبة. في البداية، ابتعد الحصان عن والكر، لكن بعد قليل سمح له ان يقترب منه. رفع والكر يده، ليدع الحصان يشمها، ثم اقترب منه اكثر، مرر يده على اذنيه ثم فوق عينيه وعلى رأسه. وقف الحصان، منحني الرأس، وكأنه يشعر بالراحة لأنه يجد من يثق به. وعلى الرغم من ألمها، اعجبت بمهارته على الخيول. صوته، لمسته وتفهمه، كلها مجتمعة تصنع العجائب مع الحيوانات.
اسرعت الى المنزل وراء جيم، جعلته يجلس على كرسي في المطبخ، ثم عملت على ابعاد الرجلين وهي تؤكد لهما انه بخير. اغلقت الباب وأمسكت بمنشفة نظيفة واعطتها اياه لينظف الجرح.
قالت له:«ستحتاج الى الطبيب.» وهي تفكر في قلبه ايضا.
اجاب بخشونة:«اعتقد ذلك، اتصلي بالطبيب بيالي من وراء الجبل، سيأتي حالا.»
اتصلت، وقال لها الطبيب سيأتي في غضون دقائق. قالت وهي تقف امامه:«حسنا، لا شك انك ستعاني من صداع شديد.»
اجاب:«هذا ما اشعر به منذ الان. ذلك الحصان اصيب بالذعر وانا امسك به فهاجمني! لم اعلم...»

سمع صوت والكر وهو يدخل المطبخ:«قلت لك دعني اهتم به. انه مجرد مهر صغير ويحتاج لمعاملة خاصة.»
نظر اليه جيم بغضب، وقال:«كنت ادرب الخيول قبل ولادتك. عندما احتاج الى مساعدة سأطلب منك ذلك.»
رفع والكر كتفيه وسكب لنفسه القهوة:«انا اجيد التعامل معها بصورة افضل.»
اعترف جيم:«حسنا، انك جيد، لكنني لا اعرف ان كنت افضل.»
اصغت ستايسي الى الحوار وهزت رأسها. من الواضح ان الرجلين يهتما لبعضهما، لكنهما مغروران ولا يعترفا بذلك. لا بد من ايجاد طريقة ليتصالحا. فجأة لمعت في بالها فكرة بسيطة جدا، لم لا تجبرهما، والان، على اخبار بعضهما الحقيقة؟
على والكر ان يعرف ما الذي كان يفكر به جيم كل تلك السنين. عليه ان يعلم لماذا كان جيم يعامله بسوءٍ وقسوة، كذلك على جيم ان يدرك ان والكر كان دائما يعتبره والده.
راودها شعور ان كليهما سيكرهانها، لكنها ستكون فعلت افضل ما تستطيعه. قالت بهدوء:«جيم، كنت اتمنى لو نستطيع الانتظار لوقت افضل، لكنني وقبل تعرضك للحادث اخبرت والكر اننا سنبقى انا وجيوف هنا دائما.»
اسقط الرجل الكبير المنشفة عن جبينه وجلس على كرسيه وهو يقول:«علمت انك ستأخذين القرار الصحيح.»
رمش والكر بعينيه، لاحظت ستايسي تلك الحركة،

فقالت:«حسناً، لكن والكر ليس سعيداً بهذا القرار.»
نظر اليه جيم وقال:«عليه ان يعتاد على ذلك.»
تجمد والكر في مكانه.
«اذن.» تابعت ستايسي بسرعة، خائفة ان يبدأ الشجار من جديد «اعتقد انه ربما حان الوقت لتشرح له ما اخبرتني به ليلة البارحة.»
قال بانزعاج:«اي جزء منه؟»
وضعت صندوق الاسعافات الاولية قرب مرفقه، نظرت اليه بتصميم قوي وقالت:«كله.»
تردد. ونظر اليها وكأنه يفكر انها بدون شك ترغب بالخير له. حبست ستايسي انفاسها، من المؤكد انه يعلم كم يمكن للحقيقة ان تخفف عنهما معا.
تمتم بدون اي حماس:«لا اعلم ما فائدة ذلك.»
سأل والكر، وهو يضع فنجانه جانبا:«يخبرني ماذا؟»
اجابت ستايسي:«عن طفولتك.» وبسرعة نظفت الجرح ووضعت عليه ضمادة. لا شك ان هذا كاف حتى وصول الطبيب، تابعت:«وعن سبب تصرف جيم بخشونة معك.»
ضحك والكر من دون اي مرح:«خشونة؟ هل هذا ما ترينه؟»
هزت ستايسي رأسها وهي تنظر الى جيم، الذي جلس بانزعاج على كرسيه. علمت ان ذلك امرا صعبا عليه. وربما اكثر مما تظن.
قال:«ستايسي، ليست بفكرة جيدة ان ندفع الامور هكذا.»
هزت رأسها مرة ثانية له وقالت:«حاول، جيم.»

«لا اعلم من اين ابدأ.»
قاطعهما والكر قائلا:«منذ البداية.»
تنهد جيم ونظر الى الارض الخشبية وقال:«انا وستايسي تحدثنا البارحة حديثا لم اتفوه به لأحد من قبل. وكان الحديث عنك.»
«حقا؟» مال والكر برأسه، وقد عقد ذراعيه، كان يبدو وكأنه مليء بالثقة بالنفس وبالفخر، لكن بالنسبة لستايسي علمت انه متوتر وذلك من خلال عينيه.
تابع جيم:«عندما توفيت امك، اصبحت وحيدا معكما انتما الاثنين. كانت صدمة لي خسارة مارغريت، ثم كان عليّ التعامل معك ومع دنيس. عندما كانت مارغريت على قيد الحياة، كنت اترك لها شأن تربيتكما. فقد كنت منشغلا بالمزرعة.»
«وما علاقة ذلك بأي شيء؟»
قاطعته ستايسي:«من فضلك، والكر، فقط اسمع.»
وضع جيم يده على الضمادة فوق عينه، قبل ان يتابع:«انا... حسنا، سئمت بسرعة من محاولة جعل دنيس يمتطي اي حصان. فهو لم يكن يحب الحيوانات.»
اومأ والكر رأسه وقال:«اتذكر ذلك، اذن؟»
«كما كان يكره الماشية، ترميم الحواجز، الاعتناء بالمزرعة، حتى انني لم استطع ان اجعله يهتم بحسابات المزرعة. كان الامر...» وتوقف عن الكلام ورفع يديه الى اعلى «وكأنه ولد من أب آخر غيري.»
نظرت ستايسي الى والكر، منتظرة رد فعل ما. لم

يتحرك، لكنه على الاقل يصغي، ولم تدرِ ما إذا كان عليها ان تفرح ام تقلق.
قال جيم:«كنت اشعر بالخجل من ابني انا.»
ومن شهقة والكر المتفاجئة، اسرع جيم مفسرا:«انت كنت الصبي الذي يعجبني. لكنني لم استطع تحمل ذلك. وحقيقة ان ولد ليس من دمي يثير كبريائي وفخري... حسنا، كان ذلك مؤلما.»
علق والكر باستياء:«لديك طريقة خاصة بإظهار فخرك وكبريائك. وبدلا من ان اكافأك، اعتقد انني القيت كل احباطي عليك. وبعد فترة، اصبحت معتادا على معاملتك بالسوء. بكل الاحوال جزء من الذي قلته انك لا تستطيع ان تتزوج ستايسي، لأنني شعرت مرة اخرى انك تفوز على دنيس، بالحصول على ارملته.»
رفع الرجل العجوز رأسه اخيرا ونظر الى والكر. لم يقل اي كلمة.
«لذلك اريد ان اشكرك على مساعدتك لي اليوم، مع ذلك الحصان المجنون. اعتقد انه كان ليرقص على رأسي لو لم تتقدم منه.»
وقف والكر جامدا، وقد بدا شاحباً من التوتر، قال:«لا، وما كان ليؤذيك عن قصد، فأنا لم افعل الكثير. الحصان كان خائفا. فقد عملت على تهدئته.»
«صحيح، بكل الاحوال، لا اعتقد انني استحق مساعدتك، لكنك انقذت حياتي. شكرا لك. فأنا لم اعاملك بطريقة جيدة وانت صغير. والحقيقة، انني لم اشعر مطلقا بالرضى عن ذلك، لكن لم استطع ان

اتغير. والان، انا آسف عن كل ما فعلته.» مدّ الرجل الكبير يده وقال:«لنتصالح؟»
حدق والكر باليد الممدودة بدهشة وكأنه يرى وحشاً بثلاثة رؤوس. ببطء رفع عينيه لينظر الى عيني جيم:«تريد ان نتصالح؟»
«بالطبع.»
فجأة رمى والكر رأسه الى الوراء وبدأ بالضحك.. تردد صدى ضحكه في الغرفة، فحدقت ستايسي بحيرة بجيم، متسائلة ما الذي ستفعله.
في نهاية الامر، توقف والكر عن الضحك، وقال:«تستحق جائزة، جيم. انني متأثر فعلا. حتى بالنسبة اليك، يحتاج الامر لكثير من الشجاعة. كي تتوقع ان اسامحك بعد كل تلك السنوات التي حولت فيها حياتي الى عذاب. حقا، تملك الكثير من الشجاعة.»
بدأت ستايسي:«والكر...» ليس هذا ما كانت تفكر به. تابع فمن الواضح انه لم يسمعها:«والان، انت تريد ان نتصالح، كما تقبل الأم الطفل لتخفف من ألمه؟»
تحرك جيم في كرسيه، وقد بدا الانزعاج على وجهه. قال والكر:«الا تعتقد انه فات الأوان على ذلك.» سار عبر الغرفة ليقف امام الرجل وحدق به بغضب، تابع بصوت منخفض:«ماذا تعتقد انني شعرت بعد وفاة أمي، وانا في الثانية عشر والثالثة عشر والرابعة عشر وكل تلك السنوات، كل يوم في كل سنة وانا أحاول ان اسعدك. كي احصل على رضاك؟ ماذا تعتقد كيف ستكون حال ولد يعيش مع شخص

شرير مثلك؟ كنت اعمل اكثر من اي شخص، وتعلمت لأكون افضل راعي ماشية، افضل مدرّب للخيل، الافضل في كل عمل يحدث في المزرعة، حتى اصبحت فعلا الافضل، وفي النهاية، استمريت في التقليل من شأني.»
تنهد جيم بصعوبة وقال:«اعلم، اعلم، بني.»
صرخ والكر:«لا تقل لي بني. لم اكن مطلقا ابناً لك. لكنني حاولت، كنت أعلم انك تكره إن ترى دنيس دائماً داخل المنزل. علمت انك تريد ولدا يبقى بجانبك، يحب الريف والخيل والماشية تماما كما تحبها. لماذا لم تقدم لي ما حرصت على تقديمه لك، جيم، لِمَ؟»
رفع جيم يده ، حاول ان يقول شيئاً، ثم توقف، ثم بدأ من جديد:«كنت جيد بالعمل في المزرعة، والكر وقد قمت بكثير من الامور. كنت فخورا بك، حتى ولو لم اقل لك ذلك.»
استدار والكر وسار نحو الباب، توقف وقال:«لست بحاجة للاطراء الان. اين كانت تلك الكلمات منذ خمسة عشر عام؟ رجل في الثلاثين من عمره لا يحتاج لأي تشجيع، جيم. انا اعرف ما انا عليه وما الذي استطيع القيام به، على الرغم منك. لكن لا تعتقد انك تستطيع العودة الآن، تقول انك آسف، وتسوي خلافات سنين طويلة يائسة.»
توقف والكر عن الكلام، وبالكاد يستطيع التنفس، لم يعتقد يوما انه قد يكون غاضبا هكذا بعد كل تلك السنوات. ولكي لا يضرب جيم، وضع يديه في جيبي بنطاله.

وعندما لمست يده الورقة الناعمة، ادرك انه وضع الصورة القديمة لسرقة جيم للماشية في جيبه. لم يعلم لماذا وضعها هناك، بالتحديد. ربما لأنه أراد ان ينظر اليها مرة أخرى. ليذكر نفسه كم هو وضيع وشرير زوج أمه.

كان جيم يتحدث، وبدا صوته بعيداً، وكأنه يأتي من غرفة ثانية. على والكر ان يركز انتباهه كي يصغي لما يقوله. «لذلك لا اتوقع منك ان تفهم كل شيء. لقد فعلت افضل ما استطيعه...»

مرة ثانية فكر والكر، افضل ما يستطيعه؟ امسك الصورة بين اصابعه وفجأة علم ان الان هو الوقت المناسب. اليوم، هذه اللحظة. سيسحب الصورة ويوضح قضيته. سيحصل على الرضى الذي يسعى اليه، وسيراقب وجه جيم الكبير وهو يرى أسوء كابوس، وسيحصل على الانتقام المناسب لكل تلك السنوات من الألم والوحدة التي عانى منها بسبب انانية الرجل العجوز.

سحب الصورة على مهل، من الافضل له ان يستمتع بانتقامه، حدق والكر بجيم، الذي مازال يتكلم، محاولا ان يبرر تصرفاته. الا يعلم ان ليس هناك اي غدر له؟ يبدو ان لا جيم ولا ستايسي لاحظا الصورة الصغيرة في راحة يده. فهما منشغلان بالمحاولة كي يجعلاه ينسى ويسامح. هاه! هاه!

ترى والكر عيناه تجولان للمرة الاخيرة على ستايسي. حتى مع كل مشاكله مع جيم، يمكنه ان يرى انها

حقاً جميلة. ناعمة، اكثر من اي شخص عرفه في حياته كلها. انها تجعل قلبه يدق بقوة، وتثير خياله كما يحدث له من قبل.

اظهار برهانه سيجعل جيم يبدل وصيته وهذا سيبعدها عن حياته الى الابد. عليها ان تغادر المزرعة، وتأخذ ابنها معها.

مجرد التفكير بذلك جعله يجمد قليلاً. لقد اصبح متعلقا بجيوف، فلدى الولد شخصية راغبة في التعلم تعجبه. لم يحظ والكر مرة بفرصة ليقدم افكاره وتجاربه كما حدث معه في الاسابيع القليلة الماضية. وبدون اي تفاخر، هو يعلم ان خبرته في المزرعة كبيرة، ومن الجيد له ان يمررها الى صبي مثل جيوف. فهناك احساس كبير بالرضى من العطاء. شعر وكأن الصورة تحرق يده.

لأول مرة تساءل ان كان اظهارها يستحق العاصفة التي ستنتج عنها. هل خسارة ستايسي وجيوف كاف لانتقامه؟ فجأة اصبح الشك اقوى من الانتقام.

قال جيم: «اذن ما الذي ستقوله، والكر؟» في تلك اللحظة لاحظ والكر شحوب الرجل العجوز. ربما يكون ذلك بسبب رفسه الحصان، لكن جيم لا يبدو بخير. كما وانه يفقد شعره وهناك بقع حمراء على رأسه. حاول والكر وبانزعاج ان يتخلص من ملاحظاته. فكل شخص سيصبح عجوزاً.

قال جيم: «تبا، لمَ لا تقول شيئاً، والكر؟»

كانت ستايسي تنظر نحوه بقوة، قالت: «ربما لا تستطيع

ان تنسى، والكر، لكنك تستطيع المسامحة، ان حاولت.»
فجأة فقد والكر صبره من ضعفه. انزعج من عدم قدرته على السير في ما خطط له منذ سنوات. ضغط على اسنانه وقال:«لن انسى مطلقا ولن اسامح.»
«حسنا.» سارت ستايسي من وراء كرسي جيم لتقف امام والكر، وضعت يدها على خده القاسي وتابعت:«ربما يمكنك المتابعة من هنا الان. وهكذا ستخرجان من هذه الدائرة في مضايقة بعضكما. يمكنكما المحاولة في العيش بسلام، واحترام بعضكما البعض.»
نظر والكر اليها وعلم انه لن يستطيع ان يسير بخطته. ففي عينيها ثقة كبيرة به، وايمان صادق انه لا يتصرف إلا بنزاهة. هي تثق انه رجل مثالي وهو لا يستطيع ان يفسد ما تفكر به. لقد اعتاد على ان تفكر فيه كرجل محترم. والرجال المحترمون، كما يعلم، لا يقدمون على الانتقام الرخيص.
ابعد يدها عنه بتعمد. وفجأة شعر بالضياع. ما الذي سيفعله الان ان كان لا يستطيع المسامحة ولا التأقلم؟ كيف سيعيش حياته من دون المرارة التي سيطرت عليه طوال حياته حتى الآن؟
هو لا يستطيع تقبل حب ستايسي، ولا يستطيع تقبل اعتذار جيم. ليس هناك اي بديل عن ذلك. عليه ان يغادر بارام.

الفصل الحادي عشر

وبدون اي كلمة استدار وسار نحو غرفة نومه. تبعته ستايسي. لقد شعرت بأن النصر اصبح قريبا، وانها ستتمكن من جعل والكر يوافق على وضع الماضي جانبا وعلى العيش بسلام مع جيم. ومعها.
في غرفته، سار والكر نحو خزانته، وستايسي تراقبه بحيرة. سحب حقيبة قديمة من القماش، وفتح خزانة الجوارير وبدأ يضع ثيابه في الحقيبة. بدأ احساسها بالنصر يتضاءل. ومن مكانها عند حاجب الباب، سألته:«والكر، ما الذي تفعله؟ هل انت ذاهب الى مكان ما؟»
لم يجب، كان متوترا لدرجة انه لم يضيع اي وقت في ترتيب ثيابه، بل رماها في الحقيبة واقفلها ثم وضعها على كتفه وسار امام ستايسي نحو القاعة. اسرعت بالركض وراءه، وهي تطرح عليه الاسئلة، اخيرا امسكت بذراعه.
قالت وهي تلهث:«عليك ان تقف.» شعرت بخوف كبير في داخلها. انه يعمل على حزم اغراضه والرحيل.
«والكر، انتظر.» وبينما كانت تتبعه، لمحت جيم يقف في غرفة الجلوس، يراقب ما يجري بعينين حزينتين. لم يقدم جيم على اي خطوة لإيقاف والكر، لم يكن لديها وقت لتتساءل عما يفكر به جيم، تعثرت وهي تقطع الدرجات الامامية لتصل الى الخارج.

رياح باردة غمرتها، من خلال غيمة حجبت اشعة الشمس. بالكاد لاحظت ذلك، ومرة ثانية امسكت بذراع والكر.

اخيراً توقف عند باب المخزن، وعندما حدق بها بغضب، تفاجأت من الاحساس بالضيق المسيطر عليه، قال بصوت حاد:«ما الذي تريدينه مني؟»

حدقت بعينيه، باحثة بيأس عن الرجل الذي احبته والذي يختبىء داخل هذا الغريب الخائف، قالت بغصة:«السلام، الانسجام. اريد ان اعمل معك، والكر، وليس ضدك.»

هز رأسه وقال:«لست بحاجة لتقلقي بشأن العمل معي. لقد ربحت يمكنك ان تحصلي على المزرعة.»

وانهى كلامه بصوت هادىء:«انا راحل.»

شهقت مرتعبة:«راحل؟ تاركا كل شي؟»

صمته كان اكثر من إجابة لها.

ضغطت بقوة على ذراعه:«لكن ما الذي تقوله؟ هذه الارض ملك لأمك. ولأمها من قبلها وقبلهما. لقد اخبرتني بذلك بنفسك! لا يمكنك ا ن تغادر هكذا.»

«راقبيني وأنا ارحل.» بعد ذلك غاب داخل المخزن المظلم. وقفت جامدة وكأنها اصيبت بالشلل من الصدمة. وفي اقل من دقيقة خرج والكر من المخزن وهو يحمل سرجه الفضي. في وسط شاحنته وضع حقيبته والسرج داخل الشاحنة.

لم تستطع ان تتكلم. وقف بجانب الشاحنة، مترددا. لمعت عيناه، وبدا لها وكأنه يشفق عليها، قال:«لا

تقلقي. سأبدأ من جديد. وسأحصل على مزرعة خاصة بي في مكان آخر.» اخرج من جيبه الصورة. حدق بها بقوة، تنهد وبدأ بتقطيع الصورة ثم رماها في الهواء. لم تعلم صورة من هذه، ولم تهتم. كل الذي تعلمه ان والكر سيغادر المزرعة ويتخلى عنها. وكل ذلك من اجل كبريائه السخيف.

وقبل ان تتمكن من قول اي شيء، نظر اليها وقال:«وداعا ستايسي.» واستدار ليصعد الى الشاحنة.

قالت بصوت مرتجف:«لم اعتقد ان مارغريت قد انجبت ولدا جبانا.»

«ماذا؟»

«انت، والكر، تتصرف بجبن.» ضغطت على يديها وهي تتمنى ان تجد الكلمات المناسبة.

رفع كتفيه وقال:«انها الطريقة الوحيدة أمامي.»

«لا. ما الذي سيحدث لبارام ان رحلت؟ وماذا سيحدث للخيول البرية التي تحبها؟ من الذي سيعتني بها؟»

رفع حاجبيه وقال بتجهم:«ستتمكن من النجاة بمفردها.» دخل الى الشاحنة، وأدار المحرك.

صرخت به:«وماذا عني؟» اندفعت لتمسك بباب الشاحنة.

حدق الى الامام بوجه جامد. حاولت ان تصرخ:«انت جبان.» لكنها لم تستطع، فالألم في حلقها يكاد يخنقها، قالت تتهمه:«انت خائف من امرأة صغيرة،

اليس كذلك؟ انت لست مغادراً بسبب المزرعة، اليس كذلك؟ وليس بسبب علاقتك بجيم. انا اعلم ما تشعر به، والكر، فأنا اشعر به ايضا.» توقفت عن الكلام، لتستجمع شجاعتها.

لقد علمت الحقيقة. لكن والكر مازال يختبىء منها. ويغطي المسألة الحقيقية بأعذار خارجية. احتاجت الى كل ما في قلبها من عواطف لتهمس:«انت خائف من ان تغرم بي لذلك تهرب بعيدا. لكنك لا تستطيع الهرب من الحب، والكر. الا تعرف ذلك؟»

ادار المحرك كي ينطلق، فبالكاد سمعته يقول:

«ربما استطيع.»

ارادت فجأة ان تضربه، ان تفعل اي شيء كي تجبره ان يدرك اي خطأ يقدم عليه. لأنها متأكدة ان غادر، لن يعود مطلقا.

الاحمق. كيف يمكن له ان يحصل على شيء نادر ومميز كحب امرأة، حبها، ويرميه هكذا؟

قالت من بين اسنانها:«حسنا اذن، اذهب. فأنت لا تدين لي بشيء.» ابتعدت عن الشاحنة، وعقدت يديها على صدرها. سألته:«وهل ستجرح طفلا بأنانيتك؟» تجهم ورفع حاجبيه متسائلا.

«الا تعتقد انه على الاقل عليك قول كلمة وداع لجيوف؟ انه متعلق بك بشكل كبير. وسيشعر بالألم لأنك تغادر. فأنت تدين له بكلمة وداع.»

علمت انها اصابته بالصميم لأنه فتح باب الشاحنة وخرج، ترك المحرك يعمل، وقال:«سأودع جيوف.»

راقبته وهي تشعر بألم في عينيها، اجبرت نفسها على الوقوف قرب الشاحنة ولم تتبعه.

كادت ان تضحك عندها. فالامر مثير للسخرية. طوال الوقت الذي امضته في المزرعة، وهي قلقة ان بطريقة ما والكر سيجبرها على المغادرة. وان لم يكن بسبب انزعاجه منها، فربما من خوفه ان يغرم بها. لكن الامور تبدلت الان، وهي التي ارغمته على الرحيل.ارتجفت من البرد. وكما هاجمها الغضب بسرعة، رحل بسرعة.

بحزن نظرت الى حقيبة والكر وسرجه في وسط الشاحنة. اتكأت بدون تفكير وسحبت الحقيبة والسرج، تأوهت وهي تخرجهما لتضعهما وراء الشاحنة، انتظرت عودة والكرة. اخذها لحاجاته لن يبدل شيئا. لكن عملها هذا جعلها تشعر ببعض الراحة.

في طريقه الى مرعى الخيل، اخذ والكر يفكر بكلام يقوله لجيوف بأنه لن يراه بعد الان، لكنه لم يجد ما يقوله. حواجز الزريبة التي ساعد في انشائها عندما كان في الرابعة عشر من عمره مازالت قوية ومفيدة. المخزن الذي بني وهو في الثانية والعشرين من عمره واسع ومفيد جدا. انه يحمي القطعان الضعيفة والمريضة، ويعد مركزا للقش في المزرعة.

تنهد وهو ينظر الى الجبال والمروج البادية من حيث يقف. المنطقة الريفية الخضراء والرائعة الجمال. مغادرة ميراث عائلته سيكون اصعب عمل يقدم عليه في حياته كلها.

لا، ادرك والكر انه على خطأ. مغادرة صاحبة الشعر الداكن والعينين الزرقاوين سيكون الاصعب عليه. سيفتقد لها بشكل لا يحتمل. لقد جعلته ستايسي يبتسم، وكم نسي مرارته قربها.

تبا، انها تريد الكثير منه، تريد منه التأقلم، الوضع كله لا يحتمل.

لماذا عليه ان يتشارك بالمزرعة مع احد؟ بالمبدأ، هذه المزرعة له. لكن لسوء الحظ، انها ليست له، من الناحية القانونية. كما وان جيم، يستحق ان يعاني، وإذا رحيل والكر سيحقق ذلك، فهذا كاف. لذلك افضل ما يفعله هو ان يستمر في خطته. رفع والكر كتفيه. لقد اتخذ قراره، وسيحافظ عليه. الرجال الاقوياء لا يتحولون عن قراراتهم. سيرحل الان.

اسرع في السير، واستدار حول المخزن. تتجمع الظلال داخل المبنى. احتاج لعدة لحظات ليفهم ما الذي يجري. كان جيوف داخل الزريبة التي منعه من دخولها، مستلق على ظهر ريدج فاير. ويميل بنعومة على الحيوان القوي، والذي وقف هادئا، حتى انه احنى رقبته لكي يتنشق ذراع الصبي بحب كبير.

شهق والكر. رد فعله الاولى ان يسرع ليختطف جيوف قبل ان يتمرد الحصان المجنون، شيء ما بحركة الصبي جعلته يتوقف. كان هادئا، مرتاحا، ويتمدد براحة على ظهرالحصان، كان يمرر يده على رأس الحصان، ورأى والكر بوضوح ان الحيوان سعيد باهتمامه.

كل شيء في الزريبة هادىء، فأنثى الحصان ترعى بهدوء، بينما المهر الصغير يلتصق بأمه.

لا بد انه اثار ضجة ما، لأن جيوف رفع رأسه ولمحه قرب الباب. انزلق الولد عن ظهر الحصان ربت على عنقه، ثم اقترب من والكر، نظر اليه بحزن وقال:«هل انا في مشكلة؟»

ردد والكر:«مشكلة؟» شعر بالذهول من الثقة بين الصبي والحصان. في تلك اللحظة شيء ما في داخله انبثق. لم يعلم ما هو ذلك الشيء، بالتحديد. اغمض عينيه مما اكتشفه، مع ان ما شعر به امر جيد ومريح.

تابع جيوف:«قلت لي ان لا اقترب من هذه الزريبة، لكن انا وريدج فاير.» وأشار نحو الحصان.

فتح والكر عينيه وقال ما هو واضح جدا:«انتما اصدقاء.»

هز الصبي رأسه وقال:«قلت لي ان الامر يحتاج للعناية والصبر. قلت ان حتى حصان فاسد ممكن ان يتعلم الثقة من جديد.»

حبس والكر انفاسه، ووضع يده على صدره. تساءل ان كانت رفسة حصان قد آلمته اكثر من ذلك. فجأة شعر بالخجل من نفسه. بعمق وبإحراج قوي امسك بالباب الخشبي. وتأمل الطلاء وكأنه اجمل شيء في العالم.

فكر بجيم، الذي مدّ يده له، وطلب منه السماح. فكر بجيوف، والذي عمل جاهدا حتى انتصر مع حصان

فاسد. اخيراً فكر بستايسي، محاولة ان تقنعه ان الحب يحقق المعجزات.

هل يسمح لكبريائه ان يخسر كل شيء عزيز عليه؟ قالت له ستايسي انه جبان. الان يعترف انها على حق. الامر الغريب، انه كان بحاجة الى صبي في العاشرة من عمره ليفهم ذلك.

رأت ستايسي والكر يعود من الاصطبل بسرعة قصوى. لم ينظر اليها مطلقا، صعد الى مقعد القيادة في شاحنته، ضغط على دواسة البنزين وانطلق بقوة مما ترك اثار العجلات الخلفية في التراب. بعد مرور ثوان اخرى، اختفى.

بالطبع لم تكن تتوقع ان يعانقها مودعاً، لكنها لم تفكر انه سيصعد الى شاحنته ببساطة وينطلق حتى من دون ان ينظر اليها. لكن هذا ما فعله بالتحديد.

وقفت في الغبار، تحدق في الفراغ، شعرت بقلبها يعتصر في صدرها بألم لم تشعر به من قبل. لقد اصبحت وحيدة.

ضغطت بيدها على فمها. الن تتعلم بمن تثق وبمن عليها ان تأخذ حذرها؟ الن تنضج لتتمكن من معرفة من يستحقها ومن لا؟

تجمعت الدموع في عينيها وهي تحدق بالاتجاه الذي سلكه والكر، نحو باكرزفيلد، اثار العجلات فقط هي الدليل على انه كان هنا. ادركت فجأة، كل قلقها بشأن قضية الثقة، لا اهمية لها مطلقا. لأنها

ان قررت ام لا، وان ارادت ذلك ام لا، لقد اعطت والكر قلبها، وبكل الاحوال، ثقتها ايضا.

استدارت نحو المنزل، واليأس يسيطر عليها، والألم يطعنها بشدة. صرخت من اعماقها:«والكر، انا احبك.»

لم تتقدم اكثر من ثلاثة خطوات عندما لمحت حقيبة والكر والسرج. كان على عجلة، لدرجة إنه لم يلاحظ انها انزلتها. لكنها كانت متأكدة تماما كما تعرف اسمها انه لن يغادر تاركا وراءه سرجه الغالي. قد يحتاج لساعة ونصف كي يصل الى البلدة، قبل ان يدرك فقدانهما. لكنه سيعود وعندما يعود، ستكون هنا بانتظاره.

سقطت على الارض، وألقت بظهرها على السرج كي تجلس براحة. تساءلت كيف يمكن لرعاة الماشية استعمال السرج كوسادة. رفعت كتفيها غير مبالية من انزعاجها. لا يهم ان اصيبت ببعض الألم في ظهرها. مرّ ضيف امامها ونظر اليها باستغراب، تمكنت ان تبتسم له بعد ان بذلت جهدا كبيرا لتفعل، ثم تجاهلته. بامكان رودي ان ينهي العشاء ويقدمه. فلديها هذه الفرصة الاخيرة لتغير رأي والكر، وهي لن تقدم على الذهاب الى اي مكان قد يجعلها تخسر رؤيته. وعندما يعود، ستجعله يصغي اليها.

احتاج والكر الى ثلاث ساعات كاملة للذهاب الى باكرزفيلد والعودة منها. بجانبه على المقعد وضع ما اشتراه، واستمر في النظر اليها ليتأكد انها

لم تسقط على أرض الشاحنة، وهو يلتف حول المنعطفات الاخيرة قبل المزرعة، وتفسد. في الخارج، حل الظلام، ولم يكن هناك غير ضوء القمر يسطع على الإشارة الخشبية المضيئة والتي كتب عليها بارام.

لم يتوقع مطلقاً ان يجد ستايسي تجلس بهدوء حيث تركها، متمددة وتلقي ظهرها على سرجه. نظر الى وسط شاحنته، وعندها فقط ادرك انها قد انزلتها، فهو لم يعلم ان حقيبته وسرجه ليسا معه.

قدمت ستايسي له الكثير، حتى انها اعترفت وببطولة انها تحبه او على الاقل هو يعتقد ان هذا ما قصدته. وخلال الساعات الثلاث الطويلة، شعر والكر في اعماقه، انها كانت اكثر شجاعة منه.

رفع كتفيه، وتابع القيادة نحوها، اوقف الشاحنة وقفز خارجا. انه يشعر بالخجل من جبنه. الان، جاء دوره ليأخذ فرصة، ويعترف بشجاعة، ما الذي يريده فعلا في الحياة، وليتخلى عن عدم الثقة وكبريائه الزائف نهائيا.

رأى شعرها يتموج في الهواء حول وجهها، ومن خلال ضوء المنزل استطاع ان يرى تورد خديها من جراء الهواء البارد. هي تبدو باردة حقا فهناك تورم خفيف على ذراعيها. لكن في حياته كلها لم يعتقد انه رأى مرة اجمل من هذه الصورة. حمل ما اشتراه، وضعه خلف ظهره وأسرع نحوها.

قالت وهي لا تزال على الارض: «مرحبا، والكر.» لمع

في عينيها تصميم قوي لم يره من قبل: «علمت انك ستعود من اجل سرجك الغالي. لكنني اخشى ان اقول لك انك لن تحصل عليه حتى تعترف بأمر ما.»

«وما هو هذا الامر، يا عزيزتي؟» شعر بيديه ترتجفان وهما تمسكان بالزهور. تبا، لديه شعور ان الوقت يطير منه، وعليه ان يضم ستايسي اليه. اقترب اكثر وقدم لها الزهور.

اخذت الباقة منه وضمتها بين ذراعيها. قالت وهي تدعه يجذبها لتقف على قدميها: «الان عليك ان تعترف، اننا مغرمان ببعضنا.» حدقت به من دون ان ترمش بعينيها.

شعر وكأنها تحبس انفاسها، حسناً، فهو ايضاً يعاني من مشاكل في التنفس. قال وهو يبتسم: «حسنا، نحن مغرمان.»

اتسعت عيناها وقالت: «انت تعترف بذلك؟»

توهج خداها من الفرح، فشعر والكر انه لم ير يوماً اجمل منها. وعلى الرغم من المجهود الذي بذله، رأى عددا من الزهور قد التوت، رفع بأصبعه الازهار الملتوية وعلق: «اعلم انها ليست زهورا رائعة. لكن اعتقد انني اردت ان اقول، ربما استطيع تقديم الازهار لك.»

قرأ في اعماق عينيها الاحساس بالفراغ والسعادة اللذين يشعر بهما بنفسه. حدقا ببعضهما لعدة لحظات، وعلم انه من خلال جيوف، الولد الذي يتمتع بحكمة اكبر من عمره، تعلم ان حتى المشهور

بسخريته وتذمره قد يبدأ في الثقة بالآخرين من جديد.

قال وهو يتمنى ان يقول كل ما يفكر فيه بطريقة جيدة:«ان اردت ان تجري بعض التعديلات في بارام، او حتى تديرينها بنفسك، انا لا اهتم.» شهقت، لكنه استمر في الحديث:«ما يهمني في الحياة ليس كبريائي، ولكن انت. اريد ان اعود الى المنزل كل مساء اليك. واريد ان اساعد في تربية جيوف. انه ولد رائع.» هل هو يثرثر كالنساء! لعجائز؟ «اذن...» تردد لفترة طويلة، وأجبر نفسه اخيرا على خرق حواجز عدم الثقة والخوف، «اذن، هل ترضين بي؟» لمس الكسر في انفه وتابع:«حتى بالاجزاء التي ليست جميلة؟»

ترنحت ستايسي على قدميها، فأمسك بها من مرفقيها، وانتظر بهدوء وصبر.

نظرت الى الزهور بين يديها. قالت ببطء، وبدون حماس، وكأنها تخاف من جوابه:«انا لا استطيع العيش في منزل فيه كل هذا الشجار. هل يمكنك ان تحل كل المشاكل بينكما؟»

ابتسم، من اجلها سيتخلى عن امتطاء الخيل وينتقل للعيش في المدينة. قال:«سأحاول ان فعل هو ذلك.»

قالت محذرة:«والكر.»

«حسنا، سأتصالح معه من اجلك، لقد طلب مسامحتي. اعتقد انني استطيع مسامحته.»

قال جيم من ورائهما عند الباب الامامي:«خبر جيد.»

تفاجأ ونظرا اليه، رأيا جيوف يقف مبتسماً بجانبه.

تابع جيم:«يسعدني ذلك، والان ابتعد عن المرأة، بني. سيكون لديك الكثير من الوقت بقربها بعد الزفاف. اما الآن فنحن بحاجة لوضع الخطط للمزرعة.»

احاط والكر خصر ستايسي بذراعه وشدها الى جانبه، وقال:«خطط؟ كل منا لديه ذات الحقوق بالكلام؟»

قال جيم:«بالطبع.»

«حسنا.» امسك والكر ستايسي من رسغها وقادها نحو باب المخزن الى اسطبلٍ فارغ. اغلق الباب وراءهما، ثم وضع الزهور جانبا وضمها اليه. عانقته بدورها بفرح لا يوصف.

ذابت كل تلك السنين المليئة بالمرارة. وعلم والكر ان ستايسي بمفردها عملت على تخليصه من المرارة بحبها ومرحها.

همست وهي تلقي برأسها على كتفه:«آه، والكر، لا اعلم ما الذي دفعك لتبدل رأيك. الاسباب غير مهمة. انني سعيدة جدا انك لم ترم بحبنا.» ابتعدت عنه قليلا وقالت:«لقد اخفتني!»

ابتسم وقال:«انا، ايضا.» امسك يدها، جذبها الى شفتيه، وطبع قبلة عليها. قال:«حتى ولو غادرت، كنت لأعود بعد فترة قصيرة. ما كنت لاستطيع البقاء بعيدا عنك.»

ببطء وضع والكر يدها الصغيرة على صدره وتابع:«لم اتصور يوما انني سأقول هذا لامرأة،

لكن ما اقوله حقيقي، انا احبك. انت تملكين قلبي، عزيزتي. فاعتني به.»

اتسعت عينا ستايسي وازدادتا زرقة كما لم يراهما يوماً.. حتى اكثر جمالا ورقة من قبل. «سأعتني بك دائما. يمكنك ان تثق بي.» قالت ذلك بعاطفة صادقة، ووضعت راحة يدها فوق قلبه وكأنها تحاول ان تحميه.

ابتسم، وهو يشعر انه يحبها واكثر مما يمكن لرجل ان يحب امرأة. غمره إحساس بالتواضع والإثارة معا، لأن رجلا متحفظا، مليئا بالمرارة مثله، تمكن من ان يفوز بقلبها.

سعادة عميقة انبثقت في داخله. سألها هامساً:«هل حقا تقبلين بأن تصبحي زوجتي؟»

ابتسمت وهي تشعر بالارتجاف من شدة الفرح. مدت يدها ومررت اصابعها على وجهه، توقفت عند الكسر في انفه، وقالت:«سأتزوج منك اليوم، وايلد هورس والكر. كما وان هناك امرا اضافيا.»

«ما هو؟»

«احب هذا الكسر في انفك.»

تمت